الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .

جامعة ابن خلدون * تيارت * .

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .

قسم العلوم الإنسانية .

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الموسومة بـ:

المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل

1672 -1727م

إعداد الطالبين:

- جرجور محمد.
- بخوش حسين.

إشراف :

- أ. بن حادة مصطفى .

لجنة المناقشة :

– دوبالي خديجة	رئيسا
– بن حادة مصطفي	مشرفا
– مداح عبد القادر	مناقشا

الموسم الجامعي:

1437-1438هـ/ 2016-2017م

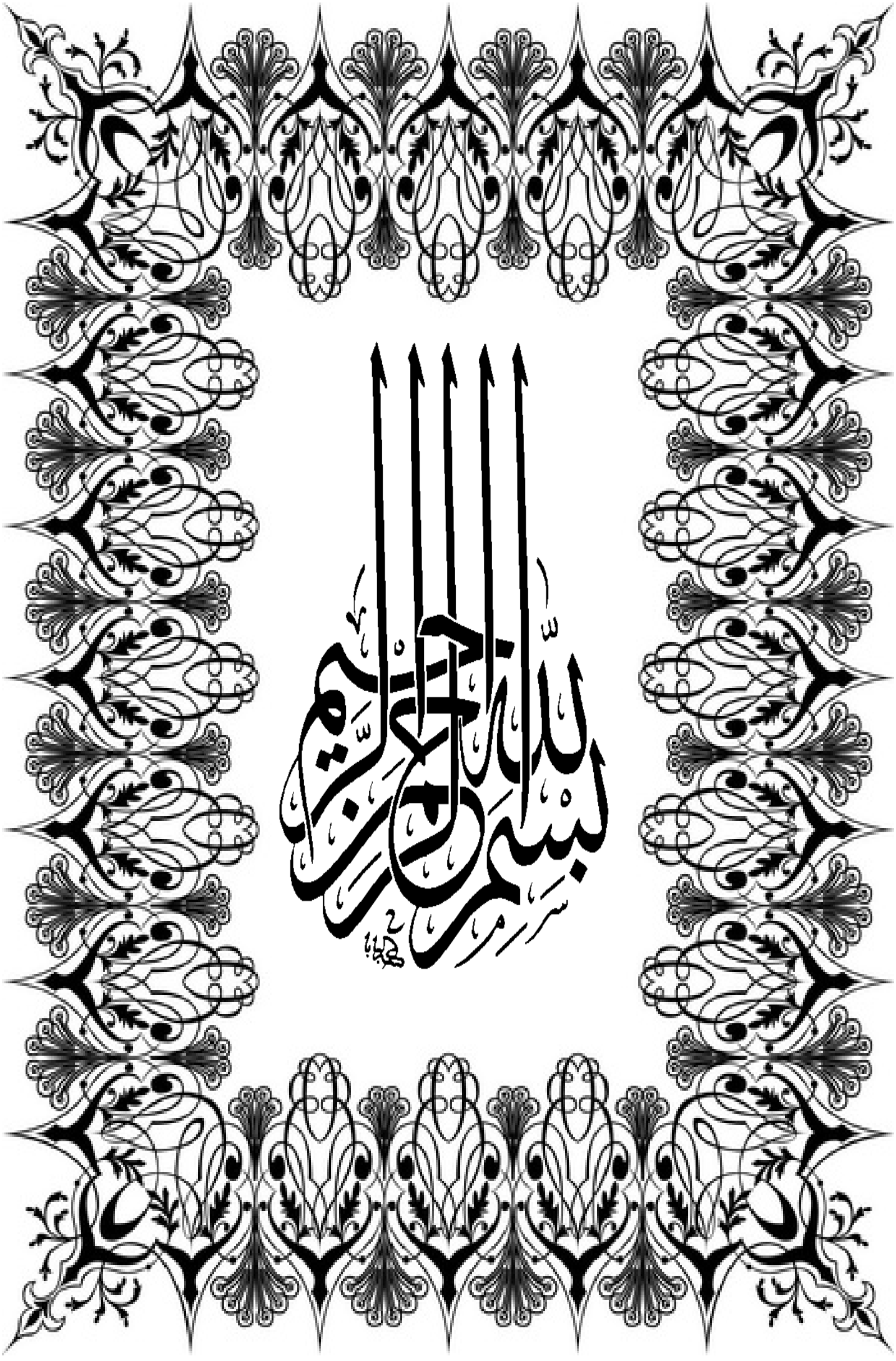
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

الحمد والشكر لله عز وجل الذي أمدنا بالطاقة وأعاننا بالصبر على إنهاء هذا البحث المتواضع.

نشكر الأستاذ الفاضل بن حاد مصطفي على معاملته الطيبة معنا وتوجيهه لنا

ولا ننسى الشكر الخاص للجنة المناقشة التي بآرائها ونصائحها تفتح شهية البحث من جديد.

ونشكر كل من تعاطف معنا ومد لنا يد العون

من قريب أو من بعيد

الإهداء

- ✓إلى الذين أوصانا الله تعالى بالدعاء لهما دائما :"وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" _ أبي وأمي حفظهما الله وأطال في عمرهما .
- ✓إلى جميع أفراد العائلة .
- ✓إلى جميع أصدقائي.مداني ،حسين، إبراهيم ،وهيبة و إلي ملهمة عقلي و ملكة قلبي عابد ميمونة.....
- ✓إلى جميع أساتذتي .خاصة بن حاد مصطفي الذي قام بالإشراف علينا

إلى كل من نسيه قلمي ووسعه قلبي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة عملي هذا.

جرجور محمد

الإهداء

- ✓ إلى الذين أوصانا الله تعالى بالدعاءلهم دائما :"وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" _ أبي وأمي حفظهما الله وأطال في عمرهما .
- ✓ إلى خالي عيساوي علي وزوجته ،الذين كان لهم الفضل الكبير في مساندتي ومساعدتي في المسار الدراسي ،فلهم مني جزيل الشكر والعرفان .
- ✓ إلى جميع أفراد العائلة .
- ✓ إلى جميع أصدقائي.
- ✓ إلى جميع أساتذتي .

إلى كل من نسيه قلمي ووسعه قلبي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة عملي هذا

حسين بخوش

دليل المختصرات المختصرات:

- **م: ميلادي**
- **تح: تحقيق**
- **مج: المجلد**
- **تر: ترجمة**
- **تق: تقديم**
- **تص: تصدير**
- **ج: جزء**
- **دب: دون بلد**
- **دس: دون سنة**
- **د ط: دون طبعة**
- **ط: طبعة**
- **ص: صفحة**
- **ص ص: من الصفحة إلى الصفحة**
- **ددش: دون دار النشر**
- **تع: تعريب**

شهد المغرب الأقصى مميزات الانفصال بمفرده في الحكم خاصة في فترة توسع الدولة العثمانية ، فلم ينطوي تحتها بالرغم من الصراعات التي شهدها وبقي محافظا على استقلاليته ، ومن الملاحظات الأساسية أن المغرب الأقصى بهذه الميزة عرف زعامات تداولت على حكمه، فقد عُرف بالتقلب وعدم الاستقرار في كثير من الأحيان ،فما تنتهي سلطة إلا وتظهر أخرى جديدة في الحكم ، والشيء الذي لا يمكن إنكاره أنه قبل نهاية أي حكم يكون قد بدأ بتطور وينتهي بفوضى واضطرابات وثورات ،ففي العهد السعدي يمكن القول أنها نجحت في تثبيت سلطتها ،خاصة فترة أحمد المنصور الذهبي الذي عرف المغرب انتعاشا اقتصاديا وتوسعا كبيرا حتى ظن بعض مؤرخي تلك الفترة أنها الدولة التي ستستقر بالمغرب ، لكن ما شاهدناه أن بعد وفاة المنصور ظهر صراع أبنائه على الحكم ونمت فيه سلطة منفردة على كل إقليم وتمكنوا من إقامة شبه دولة في هذه المناطق ، إلا أنهم جميعا لم يستطيعوا أن يوحدوا المغرب تحت سلطة واحدة .ودخلوا في حروب بينهم أدت إلى نهاية حكم السعديين .

ما نتج عن هذا الصراع هو ظهور أسرة جديدة وهي أسرة العلويين الذين تمكنوا شيئا فشيئا من بسط السيطرة، فهذا الملك العلوي هو الآخر شهد تطورات مختلفة منذ بدايته، فحكمة سلاطينها مكنها من تثبيت أمورها، فأولهم علي بن الشريف الذي وضع لها الأساس ، ثم ابنه محمد الذي أظهرها للعيان ،وبعده أخوه الرشيد الذي مكن لهذه الدولة .

كان كل ذلك تمهيدا للابن الثالث من أولاد علي بن الشريف وهو إسماعيل الذي يعتبر مؤسس الدولة الحقيقي وجعل منها أقوى دولة التي مازالت إلى يومنا هذا ، فعهد المولى إسماعيل الذي نحن بصدد دراسته في بحثنا المسمى تحت عنوان المغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل 1672/ 1727م ، ولأجل دراسة هذا الموضوع طرحنا الإشكال التالي : إلى أي مدى ساهمت شخصية المولى إسماعيل في تثبيت حكم الأسرة العلوية في المغرب الأقصى ؟.

واندرج تحته تساؤلات وهي :

- ما هي الأسس التي تتبعها المولى إسماعيل في بسط الحكم ؟
- وكيف طبق سياسته الداخلية العسكرية والإدارية ؟ خاصة في ظل صراعه مع القبائل والزوايا الثائرة ضده ؟

- هل نجح المغرب في عهده في تحسين علاقاته الخارجية ؟ وكيف تعامل مع الصراع المغربي العثماني الذي كان قائما قبله من جهة وفي تحرير الثغور من جهة أخرى! ؟

يعتبر هذا الموضوع مهما لدراسته حيث تكمن أهميته في دراسة جوانب من الدولة العلوية في بدايتها خاصة فترة المولى إسماعيل الذي عرف المغرب الأقصى في عهده تطورا سياسيا وعسكريا ، وأيضا عمليات توسعية في الجنوب ، وطرد الإستعمار الأجنبي في الشمال .

سبب إختيارنا للموضوع هو حب التطلع على خصائص المغرب الأقصى، وكذا شخصية المولى إسماعيل والتعرف على الأسرار التي قام بها من أجل بناء المغرب وتثبيت الحكم العلوي ، وغيرها من التطورات التي حصلت في فترة حكمه باعتبارها أطول فترة لسلطان علوي، هناك دراسات أكاديمية في جامعة وهران تحت عنوان :الدولة الإسماعيلة والمجتمع 1672-1727م مقاربة تاريخية إجتماعية لكنه تناول الحياة الإجتماعية فقط .

من أجل دراسة الموضوع انتهجنا المنهج التاريخي التحليلي ، ووصف بعض مجريات الأحداث التي وقعت في هذه الفترة التي تعتبر محطة من محطات التاريخ المغربي .ولمعالجتها إتبعنا خطة بحث تناولنا فيها هذه الوقائع ، وكانت بدايتها بهذه المقدمة البسيطة ، ثم مدخل الذي درسنا فيه الأحداث التي سبقت الأسرة العلوية عامة وفترة المولى إسماعيل خاصة ،وكما هو معروف أن المغرب عرف ثلاثة أسر شريفة حكمته ، أولها الوطاسية ، ثم السعدية ، وثالثها العلوية ، أي أسرة السلطان إسماعيل ، فنحن تناولنا في المدخل الأسرتين الوطاسية والسعدية ، وظهور العلويين .

وبهذا إفتتحنا الفصل الأول المعنون ب: المولى إسماعيل نشأته وحياته السياسية ، وقد احتوى على ثلاث مباحث :المبحث الأول كان على المولد والنشأة واهم صفاته والمميزات التي امتاز بها ، اما المبحث الثاني فكان عن ظروف وصوله إلى الحكم ومبايعته ، وفي المبحث الثالث تطرقنا إلى وفاته وكيف استقبل أبنائه وأهله هذا الخبر .

أما الفصل الثاني فخصصنهاه إلى السياسة الداخلية للمغرب في فترة حكم المولى إسماعيل وانطوى على ثلاث مباحث أيضا : المبحث الأول تطرقنا فيه إلى السياسة العسكرية التي انتهجها المولى إسماعيل، وعن تكوينه لهذا الجيش الذي مكنه من بسط سيادته وأيضا القضاء على الثورات التي ظهرت ضده ، بالإضافة إلى تحريره للثغور والأراضي المحتلة .أما المبحث

الثاني تحدثنا فيه عن السياسة الإدارية والاقتصادية ،والمبحث الثالث عن موقف السلطان إسماعيل من الزوايا التي كانت كثيرة داخل المغرب حيث عرفت في فترة من الفترات حكما على المغرب .

أما عن الفصل الثالث فكان بعنوان :العلاقات الخارجية للمغرب الأقصى واندرج تحته ثلاث مباحث ، المبحث الأول تحدثنا فيه عن العلاقات المغربية العثمانية – إيالة الجزائر – خاصة فترات الصراع التي كانت طويلة .والمبحث الثاني تطرقنا فيه لعلاقات المغرب مع بلاد الحجاز ، ومصر ، والسودان .أما المبحث الثالث كان عن العلاقات المغربية الأوربية خاصة فرنسا وإسبانيا .

وهكذا كانت خطتنا لدراسة الموضوع ، ومن أبرز المصادر التي دعمته لمعالجتهفكان كتاب المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن شريف الذي أفادنا في التعريف أكثر لهذه الشخصية خاصة مولده ،نسبه. وأيضا البستان الظريف في دولة مولانا الشريف لأبو القاسم الزياني والاستقصا لابو العباس احمد بن خالد الناصري، هذه كلها تحدثت تفصيلا عن المولى إسماعيل واهم أعماله وصفاته وكل ماتميز به، وأما عن كتاب الخبر عن اول دولة من دولة الاشراف العلويين اولاد مولانا الشريف بن علي لابي القاسم الزياني الذي أفادنا عن ظروف وصوله إلى الحكم وكذلك استفدنا من كتاب الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدة بعض مفاخر غير المتناهية لصاحبه محمد بن محمد مصطفى المشرفي ، في بيعته.

أما عن الوفاة فأخذناها من كتاب تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب لابو القاسم الزياني بإضافة إلى كتاب جيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي للمؤلف ابي عبد الله محمد بن احمد الكنوسي، حيث استفدنا منه في السياسة العسكرية، اما الجانب الاداري فتزودنا من كتاب العز والصولة في معالم نضم الدولة لعبد الرحمان بن زيدان ،وفيما يخص المراجع فاولهم المغرب عبر التاريخ لابراهيم حركات الذي كان شاملا للموضوع من كل الجوانب باضافة إلى احمد بوكاري في كتابه الزاوية الشرقاوية.

اما عن العلاقات فإتخذنا من مرجع تخصص في هذا المجال وهو :التاريخ الدبلوماسي للمغرب لمؤلفه عبد الهادي التازي وايضا تاريخ المغرب تحيين وتركيب لمحمد القبلي .

أما فيما يخص المجلات والمقالات فمن بينها : مجلة المؤرخ العربي الذي ورد فيه مقال لجلال يحي عن تحرير الثغور ، وأيضا مجلة دار النيابة العدد الخامس ورد فيه مقال عن العلاقات المغربية العثمانية .

وهناك بعض المصادر والمراجع التي استخدمناها ولم نذكرها في هذه المقدمة .

وكأي بحث لا يخلوا من الصعوبات ، من بين الصعوبات التي واجهتنا في طرح الموضوع :

- نقص الخبرة والتجربة في إعداد المذكرات نظرا لأنها أول مذكرة تخرج بالنسبة لنا .
- ضيق الوقت حيث أنها محددة بسداسي واحد .
- عدم قدرة التحكم في المادة العلمية وترتيبها زمنيا خاصة فيما تعلق بالمصادر .
- نقص المصادر والمراجع التي تخدم هذا الموضوع .
- صعوبة التحصل على مصادر ومراجع الأجنبية ،وأيضا عدم القدرة في ترجمتها لهذا لم نستخدمها .

في الأخير ختمنا بحثنا بجملة من النتائج كانت حوصلة للموضوع.

عرف المغرب الأقصى في القــرن الرابع عشر ميلادي اضطـــرابات عديدة سيـــــاسية و اقتصادية، وتهديدات خارجية لم يتمكن المرينيون الذين كانت السلطة بأيديهم من إيجاد الحلول المناسبة لها[1].

إن انشغال الدولة المرينية بصراعات داخلية أدت بتوجه الأطمع الأوروبية نحوى المغرب الأقصى تحديدا اسبانيا و البرتغال اللذان بدأتا بمهاجمة ثغور المغرب، مستغلين في ذلك تدهور الدولة المرينية اقتصاديا و سياسيا إذ أدى إلى سقوطها و قيام أسرة ثانية وهي الأسرة الوطاسية[2].

1-الدولة الوطاسية 1471م -1554م :

بنو وطاس فرقة من بني مرين، ولما دخل بنو مرين المغرب و اقتسموا أعماله كان لبني وطاس بلاد الريف، فكانت ضواحيها لنزولهم و أمصارهم[3]، وليس من اليسير تحديد أصل بني وطاس، لأن بني مرين لم يكونوا قبيلة واحدة، بل كانوا قبائل متعددة، فهم من ولد وطاس ابن المعز بن تاشفين، وبنو وطاس معترفين على ذلك والقوم أعرف بأنسابهم[4].

بدأ ظهور الأسرة الوطاسية سنة 1465م، نتيجة اضطرابات داخلية شهدها المغرب الأقصى، و أنشأت مملكتها به، محاولة بذلك إنقاذ البلاد من الفوضى و الخطر الأجنبي و توحيد صفوف المغاربة تحت إدارة مركزية يخضع لها الجميع[5]،و تمكنوا من الاستيلاء على حصن تروضا بالمغرب[6].

---

[1] -محمد القبلي، تاريخ المغرب تحين وتركيب، ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب- الرباط – 2011م، ص:300.

[2]- عبد الفتاح المقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي ،ج5، ط1، مكتبة مديولي- القاهرة- 1994، ص:333.

[3]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى (الدولة المرينية)، القسم الثاني ،ج4، تحقيق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ،د ط، دار الكتاب-ساحة المسجد المحمدي، الدار البيضاء،1997م،ص:118.

[4]- علي بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،د ط ،د د ن، الرباط ، 1979م ، ص: 22.

[5]- فاهم نعمة الياسري، الإسهامات السياسية لمتصوفة المغرب الأقصى في العصر الحديث، مجلة كلية التربية ، العدد 12، د ط ،د س، ص: 164.

[6]-احمد عبد السلام البوعياشي، حرب الريف التحريرية و مراحل النضال، ج1 ،د ط، مطبعة الأمل، طنجة ،1974م، ص:196.

يمكن تلخيص عوامل تأسيس الدولة الوطاسية فيما يلي:

- محاولة إيجاد حكومة قوية يعترف بها كل المغاربة .
- محاولة ضبط الشؤون الداخلية سياسيا وإداريا .
- القضاء على أصحاب الفتن.
- القضاء على الخطر الأجنبي[1].

يعتبر محمد الشيخ المهدي المعروف بمحمد الشيخ الوطاسي أول سلاطين الدولة الوطاسية و مؤسسها عام 1471م-1504م[2]، حيث قام بالدعوة لنفسه في أصيلا ثم فاس، و كانت له ولأبنائه سلطة محدودة في الشمال[3]، وقد تداول على حكم الأسرة الوطاسية من الفترة الممتدة من 1471م-1549م، أربعة سلاطين أولهم محمد الشيخ الوطاسي، و آخرهم علي حسون الوطاسي[4].

إن بروز قوة متعاظمة على الضفة الشمالية من المتوسط، خاصة بعدما شهده البرتغال و إسبانيا من تدعيم مركزية السلطة و توحيد النفوذ، قابله سلطات مشتتة محدودة الإمكانيات المادية و الدفاعية في المغرب الأقصى[5]، حيث دبت عوامل الانحلال في الدولة الوطاسية، فقصرت سلطتها على حواضر المغرب، ولم تبقى لها القوة الكافية لصد المحتل الأجنبي[6].

كان من أسباب ضعف السياسة الوطاسية أيضا انشغالهم بالخلافات الداخلية تاركين البلاد في الكثير من الفوضى[7]، لذا أصبحت مسألة استمرار الوطاسيين في الحكم مسألة وقت،

---

[1]-إبراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ، المجلد الثاني من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، ط1، دار الرشاد الحديثة –شارع فيكتور هيغو-دار البيضاء، 1978م، ص:196.

[2]- عبد الفتاح المقلد الغنيمي، المرجع السابق ،ج5،ص:337

[3]-محمد البشير بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال 1854م-1916م، د ط ، مطبعة المعرف الجديدة – الرباط، 1991م، ص:48

[4]- عبد الفتاح المقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج6، ص: 102

[5]- دلندة الأرقش و آخرون،المغرب العربي الحديث من خلال المصادر ،د ط، مركز النشر الجامعي ، ميديا كوم ، تونس 2003 م ، ص: 10

[6]- عبد الله كنون ،النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج 1، ط2 ، دون دار النشر، ص: 234 .

[7]- فاهم نعمة الياسري ،المرجع السابق،ص:164 .

حيث كان لا بد من ظهور قوة تستطيع الحلول محل الدولة الوطاسية في الوقت الذي أصبحت فيه كل الظروف ملائمة لأن ينجز الأشراف السعديون مشروعهم الذي اتخذ من الجهاد قواما ومن السلطة هدفا[1]، في شكل قوة سياسية جديدة إنها قوة السعديين.

2-الدولة السعدية(1510م- 1659م)

لما انحل الملك المريني الوطاسي، وقصرت أيدي ملوكهم عن الامتداد الى السوس، وتعطلت الأحكام المخزنية منه، اغتنم السعديون هذه الفرصة للوصول إلى الحكم[2].

ينتمي السعديون إلى أسرة شريفة، و أصلهم من ينبع النخل من أرض الحجاز، و أنهم أشراف من ولد محمد النفس الزكية و إليه كانوا يرفعون نسبهم، و يقولون في أول ملوكهم القائم بأمر الله: هو محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن خلوف بن زيدان بن أحمد بن أبي القاسم بن محمد الحسني بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهم بنو عم السادة العلويين أشراف سجلماسة و يجتمعون معهم في محمد بن أبي القاسم المذكور في النسب[3].

بدأ نفوذ السعديين في بلاد درعة و السوس الأقصى و كان ظهورهم في الوقت الذي كانت فيه الشواطئ المغربية عرضة للأطماع البرتغالية و الاسبانية، بينما كانت الدولة الوطاسية قد وصلت إلى درجة من الضعف حيث أصبحت عاجزة عن رد الأعداء الذين أخذوا يستولون على الشواطئ المغربية واحدة تلوى الأخرى[4]. و أول من ظهر منهم للزعامة هو أبو عبد الله

---

[1]- د لندة الأرقش و آخرون ، المرجع السابق ،ص: 17

[2]- أبو القاسم الزياني،البستان الطريف في دولة مولانا الشريف ، القسم الأول (من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله) ، تح ،رشيد الزاوية ، ط 1 ، مطبعة المعارف الجديدة - الرباط 1992 م ص: 33.

[3]- أبو العباس احمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج 5، ص: 3

[4]- شوقي عطاء الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا – تونس- الجزائر –المغرب -)، ط 1 الانجلو المصرية– القاهرة 1977 م ص: 167.

القائم بأمر الله محمد بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن زيدا الأول و ذلك سنة 915هـ[1]. فإلتفت القلوب حوله، و بايعوه بالإمارة سنة 1509م، فأخذ يعد العدة لتصفية الدولة الوطاسية، و تثبيت أركان دولته حتى يستطيع التفرغ لمقاومة البرتغال[2]، ورغم مبايعة الناس للقائم بأمر الله السعدي إلا أن بعض العلماء بقوا مؤيدين للمرينيين، حيث كانوا يحرضون الناس على الصبر والطاعة، إلى أن كتب احد الفقهاء وهو عبد الواحد الونشريسي يقول لسلطان السعدي إن دخلتها طوعا ملأتها عدلا، و إن دخلتها كرها ملأتها قتلا[3].

يمكن تلخيص عوامل تأسيس الدولة السعدية فيما يلي:

_ أن السعديون أشراف فهم يرون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا في توحيد المغرب .

_ السعديون في نظر العامة هم أحق الناس في تولي الملك .

_ تفاقم الخطر الأجنبي[4].

لقد عرفت الدولة السعدية حدثا تاريخيا مهما كان منعرجا في تغير مسارها السياسي، وهي معركة واد المخازن.

أ- معركة وادي المخازن 1578م:

بدأ ملك البرتغال يعد حملة كبيرة لاحتلال المغرب، وتحويله إلى المسيحية و طرد المسلمين منه، كما حدث في إسبانيا و البرتغال، ولما بلغت استعدادات الصليبيين للحملة الكبيرة، بدأ أحمد المنصور يهيأ الجيش المغربي من رجال وعتاد ووجد معاونة كاملة من أتباع الطريقة الجازولية وقد تطوع أعداد كبيرة من الصوفيين للجهاد في الإسلام[5]، و قد كانت القوات

---

[1] -الصديق بن العربي ، كتاب المغرب، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، 1984م، ص: 82 .

[2] - شوقي عطاء الله الجمل، المرجع السابق، ص: 68.

[3] - مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تح ،عبد الرحيم بنحادة، ط1، دارتينمل للطباعة و النشر بمراكش، 1994 م، ص:17.

[4] - إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ج 2، ص:242 .

[5] - محمد حسن العيدروس، تاريخ العرب الحديث، د ط ، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، 2001، ص: 198.

المسلحة أداة فعالة لإقرار دعائم الطمأنينة بالبلاد وضبط شؤون الإدارة و الدولة، حيث زودها أحمد المنصور بالمدفعية الحديثة كما جعلها رهن إشارته باعتباره القائد الأعلى وبيده مقاليد الأمور[1].

لما وصلت الحملة الصليبية إلى القصر الكبير على الضفةاليسر ى لواد المخازن، و بدأت تلك الو اقعةعلى نطاق دو لي واسع، وبعد معركة طاحنة بين كر وفر من الجانبين، انتهت المعركة بالانهزام التام للصليبيين ولم يبقى أمامهم إلا الاستسلام أو الموت، فكانوا بين مستســـــــلم أو مقتول،و هكذا مات في هذه المعركة ثلاثة ملوك و قتل فيها أعداد كبيرة من الصليبيين[2].

بعد معركة واد المخازن بويع أحمد المنصور الذهبي مباشرة، وتجددت بيعته بفاس التي توافد عليه فيها أبناء و أعيان مراكش وغيرها، وقد تولى المنصور حكم الدولة السعدية من 1578م إلى 1603مو كان من المشهورين بحزمه وتتبعه بأخبار رعيته؛ وقد أسس مجلسا للشورى سماه الديوان[3]، و قد تألفت حكومةالمنصور من وزراء، ذو ثقافة عالية و كان من بين وزرائه أبو فارس عبد العزيز الفشتالي[4] المؤرخ و الأديب،. كما عمل أيضا على تنشيط الجانب الاقتصادي و تطويره، حيث حول النائبة إلى ضريبة نقدية،و أحدث عدة مكوس، وقلل من التعامل بالعملة الفضية بعد أن كثر الذهب بخزائنه،واحتكر صناعة السكر التي عرفت نشاطا واسعا في عهده كما نشط العمران وحركة البناء، و أهم البناءات قصر البديع بمراكش، و بذلك يكون عهد المنصور قد عرف رخاء و ازدهار شامل[5].

---

[1] – أحمد بن االقاضي، المنتقي المقصور علي مآثر الخليفة المنصور،ج1، تح، محمد رزوق، د ط ، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، 1986م، ص: 187.

[2]– محمد حسن العيدروس،.المرجع السابق، ص: 200.

[3]– إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج1، ص: 262.

[4]–أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الصنهاجي الفشتالي، ولد عام 1549م، وهو وزير القلم الأعلى عند المنصور الذهبي و من المهتمين بتاريخ الدولة السعدية من مؤلفاته :**مناهل الصفا**. توفي سنة 1621م،انظر:أحمد بن محمد المقري روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م، ص ص:112-113.

[5]– إبراهيم حركات، نفسه، ص: 274

أما في تنظيم الجيش،فقد كان متأثر ابحد بعيد بنموذج الجيش العثماني الانكشار ي في الجزائر، الذي ظهرت فعالياته في حملاته على المغرب، وكانت جهوده موجهة إلى تطوير الجيش أولا و توفير الأمن ثانيا، مع إخضاع المناطق المتمردة و إقامة حكم مركزي قوي[1]،كما تمكن أيضا من غزو السودان الغربي و الصحراء و شق الطرق والقوافل التجارية من داخل إفريقيا إلى البحر المتوسط و كانت تحمل الذهب ضمن متاجرتها[2].

كما عمل أيضا على تبادل التجارة مع الإنجليز، فقدم لهم الذهب و السكر و الكبريت مقابل الأقمشة، و قد تنافساكل من انجلترا و اسبانيا على مصادقة المنصور، فتشكلت شركة البربر التجارية في لندن عام 1589[3]،وقد عمل على تمويل الجيش و الإدارة بوسائل مستقلة غير مرتبطة بالإنتاج الداخلي حتى لا يتضرر الكثير من السكان و مشايخ القبائل[4].

ب- ضعف و انهيار الدولة السعدية :

بعد وفاة المنصور 1603م، تأزمت الأوضاع واختل النظام و لكن هذه الأزمة لم تكن عابرة، فقد دام الصراع على العرش بين أبناء المصور و أحفاده مدة تزيد عن نصف قرن، عانت فيهاالبلاد من اضطرابات و فتن خطيرة أطاحت بالدولة وعصفت بالبلاد و استقرارها[5]، حيث اشتغل أولادالمنصور بالحرب على الملك و أهملوا أمر الثغوروالرعية و الجند، وصرفوا همتهم في الحرب بينهم، إلي أن نفذ و سعهم وتفرق شملهم[6]، و تفرق الجيش النظامي وتسابق أبناءه

---

[1]- عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر و المغرب (1517-1659)رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، إشراف .د ليلى الصباغ، جامعة دمشق، قسم التاريخ 1983، ص:98.

[2]- حلمي محروس إسماعيل، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية، ج1، د ط، مؤسسة شباب الجامعة مسكن د مصطفى المشرفي ، الإسكندرية ، ص: 254.

[3]- محمود السيد، تاريخ افريقيا القديم والحديث، دط، مؤسسة شباب الجامعة مسكن د مصطفى المشرفي، الإسكندرية، ص:281.

[4]- عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب،ج3، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996، ص: 472.

[5]- الحسن اليوبي ، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من العهد السعدي إلى ما قبل الحماية ، د ط، مطبعة فضالة زنقة أبي زيدون ، المحمدية / المغرب ، 1998، ص: 20.

[6]- أبو القاسم الزياني ، المصدر السابق ، ص: 37.

بالاستنجاد بالأعداء القدامى؛ وانفصلت مرة أخرى فاس عن مراكش و تكونت في كلتا المنطقين إمارات مستقلة عن السلطةالمركزية[1].

إن كل هذه الأحداث التي أعقبت وفاة المنصور، في مقدمتها تنافس الأبناء على السلطة، قادت البلاد إلى حرب أهلية أدت إلى تقسيمها إلى مملكتين شماليةعاصمتها فاس و جنوبية عاصمتها مراكش، فحصلت ازدواجية في السلطة السياسية للمغرب اقترنت بإساءة السلاطين معاملة رعاياها، وهكذا دارت عجلة الزمن دورتها مرة أخر ى لتعيد البلاد إلى نفس أوضاعها السابقة قبل قيام الدولة السعدية؛ وفي ظل هذه الظروف أصبحت مسألة انتهاء السعديين مسألة وقت فقط لتحل محلها أسرة جديدة هي الأسرة العلوية[2].

3-الدولة العلوية :

ينتسب العلويين الحاليين إلى جدهم علي الشريف[3]، و نسبها متصل برسول الله صلى الله عليه وسلم من أمتن الأنساب و أول ملوكها محمد بن الشريف بن علي المراكشي[4].

وهم صرحاء الأشراف نسبا وفضلائهم حسبا و كان قدومهم تحديدا من أرض الحجاز من ينبع النخل، وسميت بذلك لكثرة ينابيعها و نخيلها[5].وقد نظم عمود نسبهم العلامة سيدي عبد السلام القادري في أبيات من الرجز فقال :

أبو ملوكنا الشريف بن علي محمد على يوسف يلـــــي

علي الشريف ثم الحســـــن محمد حسن المستوطـــــن

فقاسم محمد بلقاســـــــم محمد الحسن ذو المكـــــارم

---

[1]- عبد الله العروي ، المرجع السابق ، ص: 474.

[2]- فاهم نعمة اليلر ي، المرجع السابق، ص: 168

[3]-محمد الأمين ، المفيد في تاريخ المغرب ، د ط ، دار الكتاب ، الدار البيضاء، د سنة ، ص: 213 .

[4]- أبو العباس احمد بن خالد الناصري، الاستقصاء ، المصدر السابق ص: 3.

[5]- محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف الرباطي -الدولة السعيدة -، تح :أحمد العماري ، ط1،دار المِ أتوات، الرباط، 1986، ص: 5.

فعـــــــــــابد الله أبو محمد فعرفــة فحســـن السؤدد

ثم أبو بكر على فحســـــن أحمد إسماعيل قاسم و مـــــن

محمد المهـــــــــدي فعبد الله فالحسنـان فرسول الله (ص)[1].

ينظر في الملحق رقم 1 شجرة النسب بالترتيب.

هكذا ذكر النسب الذي سماه سلسلة الذهب جماعة من العلماء الأكابر، كما نجد شيخ الشيخ النسابة الشريف أبي عبد الله الأزرقاني فقال :

من نسب السيد محمد النفس الزكية بينبع النخل ،السيد محمد والسيد الحسن أبناءعبد الله بن محمد بن ابي عرفة و كان أصلهم و سلفهم الينبوع هو نجار أجدادهم، لان جدهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان النبي صلي الله عليه وسلم أقطعه إياه، فلذالك بقيت فيه سلالتهم[2].

كان نشاط الأشراف العلويين مقتصرا على واحة تافيلالت، حتى عصر الفوضى الذي تلي وفاة أحمد المنصور، وفي هذه الفترة كانت واحة تافيلالت مطمع الدلائيين وأبي حسون الســـملالي ولمواجهة هذه الأخطار، التفت أهل سجلماسة (عاصمة تافلالت) حول المولى الشريف مؤسس الدولة العلوية[3].

أ- **بداية الحكم العلوي و اعتلاء محمد بن الشريف العرش العلوي سنة 1638م:**

بويع السلطان محمد بن المولى الشريف المحمدي الحسيني السجلماسي بالخلافة، و خلص لـه الولايـة علـى جميـع بـلاد سجلماسـة وضـواحيها؛ و بـدأ السـلطان محمـد بـن الشـريف يمـارس السلطة على سجلماسة سنة 1640م، حيث تلقى بيعته السكان في عين المكان،و هو أحد

[1]- أبو القاسم الزياني ، المصدر السابق ، ص: 29.

[2]-محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي، تح :عبد اللطيف الشادلي،ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء،1998، ص ص:409-410.

[3]-محمد علي عامر، و محمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى و ليبيا)،ج 1، د ط، منشورات جامعة دمشق 2000، ص:81 .

الإخوة للملوك الثلاثة من علي الشريف، الذين تعاقبوا على الملك و هم: محمد هذا والرشيد و إسماعيل ووصف محمد بأنه،كان قوي البدن شجاع مقداما لا يبالي بالعظائم، و لا يخطر بباله خوف الرجال ويفضل التأييد السياسي و العسكري الذي لقيه من أهل سجلماسة، و تشوقه لمطاردة أبي حسون من درعة و الصحاري المجاورة[1].

كان محمد بن الشريف وجيها عند أهل سجلماسةو كافة أهل المغرب، يقصدونه في المعضلات، ويستشفعون به في الأزمات و يهرعون إليه فيما حل و قل من الملمات، ويحكي عنه الافراني صاحب كتاب نزهة الحادي يذكره وهو صغير: **كان رحمه الله وهو صبي صغير مارا ذات يوم على الإمام الحاكم أبي محمد عبد الله بن علي طاهر الحسني فسأل عنه أبو محمد اذا لم يكن يعرفه، فقيل له هو ابن علي بن محمد ففرح به و مسح على ظهره و قال : ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك و السلاطين**[2].

لما عظمت دولة محمد بن الشريف و توافدت جموعه و انتشر في البلاد صيته، بعث له أهل فاس و عرب الغرب يطلبون منه المجيء إلى أرضه، ويواعدونه بالنصرة له، وتقويته بالعدة والعدد، فأقبل نحوهم مسرعا إلى أرضهم إلى أن دخل فاس الجديدة، فبايعه أهل فاس القديمة و الجديدة و بقي هناك مدة، إلى أن ثار عليه أخوه الرشيد بن الشريف[3]، الذي قتله في أول مواجهة يوم الجمعة التلسع محرم فوافته المنية و أسف الرشيد على قتله.

ب – المولى الرشيد:

تولى المولى الرشيد الخلافة مباشرة بعد مقتل أخيه محمد بن الشريف وقال فيه الأفراني: **السلطان الجليل الماجد الأصيل محي رسوم الدين و قاطع دابر المفسدين، شهم الأنام وظل الله على الخاص والعام ورحمة للمسكين و الضعيف مولانا الرشيد ابن مولانا الشريف الحسني العلوي النجار السجلماسي المنزل و الدار، من سادتنا الشرفاء**

[1] – إبراهيم حركات ، المرجع السابق ،ج3، ص:20.

[2] – محمد الصغير الافراني ، المصدر السابق ص: 423 .

[3] –نفسه ص: 425-426.

سجلماسة، التي حق لها أن نال بآل البيت علوا وفخرا ونهض للخلافة السلطان الأعظم والملك الأفخم أبو المكارم مولانا الرشيد فظهر أولا ببلاد أنكاد ثم استولى على البلاد[1]

.

إن انطلاق الدولة الناشئة بدت شاقة و غير محكمة التنظيم بسبب انعدام سيطرة الولاية على العرش، وعدم اعتماده على الشورى في الاختبار داخل الأسرة نفسها وهكذا كانت على كل مرشح مساندته بالقوة الاجتماعية و السياسية أن تقاوم الآخرين من الأمراء و الأطراف المعارضة إلى أن يفرض نفسه[2]، من أثاره الخالدة بفاس تأسيس مدرسة الشراطين المحكمة البناء الجميلة الشكل أنيقة الوضع لدراسة العلم و سكن لطلابها و جعل فيها طبقات تلت بعضها فوق بعض، و لهذه المدرسة بنيان مقابل أحدهما من الجهة الجنوبية و الآخر من الجهة الشمالية[3].

قام بتجديد الكثير من القصور الملوكية المرينية التي لعـــــب الخراب والتخريب فيها أدوار ولازال يجول من خلالها بصفة مدهشة كما ضرب الكة و كان نقش إحدى جهاتها، الله ربنا وحمد رسولنا و الرشيد إمامنا[4].

وفاته :

انتهت حياة السلطان الرشيد وهو في سن 42، بمأساة حينما ركب فرسه فجمح به واصطدم رأسه بفرع شجرة فمات قتيلا سنة 1672م، ليحل محله السلطان إسماعيل[5].

---

[1]- محمد الصغير الافراني ، المصدر السابق ص: 427 .

[2]-عبد الرحمان ابن زيدان، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، د ط، دار المعارف والعلوم الرباط 1937م، ص: 12 .

[3]- نفسه، ص: 23 .

[4]- نفسه، ص: 25 .

[5]- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي (عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر)، ج3، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص:8.

المبحث الأول : المـــــــــــولد و النشأة :

1- **المولد:** السلطان إسماعيل هو ثالث سلاطين الدولة العلوية، و أعظمهم شهر ة و أجلهم قدرا، كان عاملا لأخيه الرشيد على بلاد المغرب، و متوطنا بمدينة مكناس التي صارت عاصمته[1]، وقال في وصفه الكاتب مولاي إدريس الفضلي: **هو الإمام الجليل، و الخليفة الحفيل الظل الظليل مولانا إسماعيل رحمه الله فتح الفتحات العظام، و قمع جموع الكفرة اللئام وفتح المعاقل والحصون و امتداد لمفاخره العيون فكم فك من سلير و كم جبر من كسير و كم شيد للإسلام من منار محبً ا للعلماء و الصالحين معظمً ا و مكرما لهم في كل حين**[2].

يعتبر من بين السلاطين الذين ذاع صيتهم في المشارق و المغارب لقب في المغرب الأقصى، برجل السيف و الثبات، حر الضمير صلبا في دينه متمسك بحبله المتين، يعاقب العقوبة الصارمة كل من ظهر ت منه مخالفة في الشعائر الإسلامية أو أركان من الدين[3].

قال فيه اليفراني في كتابه النزهة: **لم يزل المولى إسماعيل في مقارعة أعدائه إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها، و استولى على سهلها و تخوم السودان و انتهى منها إلى ما وراء النيل، و انتشرت دولته و بلغ من ذالك ما لم يبلغه المنصور السعدي في جهة الشرق و امتدت مملكته إلى ضواحي تلمسان و الله أعلم**[4].

---

[1]- عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ج1، ط2، د د ش ، دب، ص:29.

[2]- مولاي إدريس الفضلي، الدرر البهية والجواهر النبوية، ج1، مراجعة ومقابلة أحمد بن المهدي العلوي، و مصطفى بن أحمد العلوي، د ط ،مطبعة فضالة، زنقة ابن زيدون المحمدية، المغرب، 1999، ص:190 .

[3]- عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج2، تحقيق الدكتور علي عامر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية شارع بور سعيد، القاهرة ، 2008،، ص: 63.

[4]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء، ج7، المصدر السابق، ص:101.

كما مدحه بعض أدباء المغرب :

مولاي إسماعيل يا غيث الورى يا من جميع الكائنات قدم له

ما أنت إلا سيف حق منتضى الله من دون خليفة سلـــــه

من لا يرى لك طاعة فالله قد أعماه عن طرق الهدى وأظله[1].

ولد السلطان إسماعيل بسوس عام 1056هـ-1646م، في بعض التواريخ و الشائع عند جميع أشراف تافيلالت؛ وهذا ما قاله عبد السلام محمد بن الشريف بن علي، أنه ولد بتافيلالت بالقصر المعروفة بأمجار، و إنالقُبة التي ولـــــد بها معروفة و محترمة عند الخاصة والعامة إلى الآن و عند الله علم الحقيقة[2].

قيل أيضا انه ولد في عاشرة القاعة1056هـ/1646م[3]، التي وقعت بين أخيه محمد و بين أهل زاوية الدلاء[4]؛ ووالدة السلطان إسماعيل حسب بعض المصادر هي مباركة بنت بكر المغفري توفيت عام 1078هـ[5].

بينما هناك رأي آخري حول مولده، فنجد صاحب كتاب المنزع اللطيف يقول انه ولد بسوس عام 1065هـ، على ما في بعض التواريخ في قوله **و الذي حدثني بعض المسنين من العدول أبناء عمنا الأشراف سكان تافيلالت أنه ولد بتافيلالت و أن محل ولادته مازال معروفا بالتواتر عند كبيرهم و صغيرهم وعندي أنه ولد بتافيلالت لا بسوس**[6]، وهو الإبن

[1]- محمد الصغير اليفراني، روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف، تحقيق عبد الوهاب منصور ،ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1995، ص:63.

[2]- عبد الرحمان بن محمد السجلماسي، المصدر السابق، ج2، ص:94.

[3]- واقعة القاعة: 1056هـ/1646م ، هي اسم وقعة تقابل فيها بن الحاج الدلائي مع المولى محمد بن شريف العلوي وذلك سنة 1646م، احتل أثناءها الدلائي سجلماسة ثم اصطلحا على أن تكون الصحراء إلى جبل بني عياش للمولى محمد و ما دون ذلك إلى الغرب للدلائي، انظر: الحلل البهية ص: 279.

[4]- عبد الرحمان بن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر مولانا إسماعيل بن شريف، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة اديال، الدار البيضاء ، 1993، ص: 43.

[5]- نفسه ص: 44.

[6]- عبد الرحمان بن زيدان ،المصدر السابق ص: 29.

الثالث لمولاي محمد الشريف بن علي و هو الأخ الثاني من الجارية سبي المغافرة التي و لدت إسماعيل و المهدي[1].

2- نشـــــــــأته:

نشأ عند والده المعروف بفضله ودينه و صلاحه؛ و لما بلغ الثالثة عشر من عمره توفي والده و تولى كفالته أخوه الرشيد، إذ كان أحب بني أبيه إليه لما خصه الله به من الحياء و الحنان، العلم، الحلم و النباهة وحنكته السياسية، الثبات، الشجاعة و الأمان لم يزل بسبب ذلك يكبر في عينه، يصطفيه و يرشحه لمعالي الأمور و رقيه، ولما بلغ الرشيد الملك استخلفه على مكناسة الزيتون[2]، و زوجه إحدى بنات عمهم الملوك السعديين، وألم لعرسه وليمة لم يرى الراءون مثلها في الضخامة و الأبهة و المهرجان[3].

أخذ السلطان إسماعيل العلوم عن وزيره؛ الإمام الكاتب الفقيه الكبير أبي العباس اليحمدي، و هذا ما قاله السلطان إسماعيل لابنه المأمون[4]، ذلك هو الذي عـــــلمني (**ديني و عرفني به**)[5].

---

[1]- أبو القاسم الزياني ،المصدر السابق ، ص:38.

[2]- من الأمصار القديمة بأرض المغرب بناها البربر قبل الإسلام وبنا فيها المر ينيون المساجد والمدارس والزوايا، ثم بعد مجيء العلويين اتخذها السلطان إسماعيل دار ملكه ، أنظر المغرب العربي الكبير لشوقي عطاء الله جمل ،ص:215.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان ، المصدر السابق ، ص: 45.

[4]-المأمون: هو احد أبناء السلطان إسماعيل النجباء ولاه أبوه علي مراكش ونواحيها ثم نقله عام 1113هـ إلى فلالة بالقلعة التي كان بناها إلى ابن أخيه محرز وأعطاه ألف من الخيل اشتهر بالشجاعة والأعمال الحربية توفى بعد عامين من ولايته عام 1115هـ،أنظر : عبد الرحمان بن زيدان ،روضة التعريف ص : 111.

[5]- عبد الرحمان بن زيدان ،نفسه، ص: 51.

3- نسبه:

ذكر نسب السلطان إسماعيل المؤرخ محمد بن الطيب القادري في كتابه نشر المثاني: **هو الخليفة السلطان المنصور الملك المشهور أبو النصر، مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا شريف ،الذي شرفت سجلماسة بإمكانه وديارة بل جميع المغرب وجهات أقطاره**[1].

كما ذكره الإفراني نسبه في كتابه روضة التعريف :**أما نسبه نصره الله فهو مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف ،بن مولانا علي ،بن مولانا محمد ،بن مولانا علي بن مولانا يوسف، بن مولانا علي الشريف بن مولانا الحسن، بن مولانا محمد، بن مولانا حسن بن مولانا القاسم، بن مولانا محمد ،بن مولانا أبي القاسم، بن مولانا الحسن، بن مولانا عبد الله،بن مولانا أبي محمد، بن مولانا محمد، بن مولانا عرفة، بن مولانا أحمد ،بن مولانا إسماعيل، بن مولانا القاسم، بن مولانا محمد، بن مولانا بن عبد الله الكامل، بن مولانا الحسن، بن مولانا علي ابن أبي طالب، وفاطمة الزهراء البتول ،بنت محمد صلى الله عليه وسلم ،هكذا ذكر النسب الذي هو حقيق أن يسمى سلسلة الذهب**[2].

بهذا النسب أصبح يعتبر السلطان إسماعيل من الذين رفعوا راية الجهاد باستحقاق وقام ضد كل من حاول المس بشرف الإسلام أو استقرار المغرب حتى ولو كان من زعماء الزوايا[3].

كما ذكر عبد الله الفاسي الفهري عن نسبه حيث انه من ارقي الأنساب و ارفعها شأنا وذالك لاتصالها بسلالة الرسول صلى الله عليه و سلم فهو يقول في كتاب قبيلة بني زروال : **بن مولانا الشريف رفيع القدر المنيف الغني بحسبه الباهر، ونسبه الطاهر، عن التعريف قدس الله، وروحه الطيبة و سقى لحده الشريف من الرحمة الغمامة الصيب بن مولانا علي رفع الله درجته، في أوليائه وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من أنبيائه وشهدائه، أبقاه الله وأثاره**

---

[1]- محمد بن الطبيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني،ج3، تحقيق محمد حجي، واحمد توفيق،دط، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر، الرباط1978، ص:258.

[2]-محمد الصغير اليفراني ، روضة التعريف ، المصدر السابق ، ص:18.

[3]- محمد البشير بن عبد الله الفاسي الفهري، قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية، د ط ، منشورات جمعية علوم الإنسان، شارع مولايا الشريف، الرباط، المغرب الاقصى ، د س، ص:33.

في نصر الدين باقية صالحة، في سبيل الله غادية رائحة، وأقلام رماحه لآيات النصر العزيز[1].

لقد مدحه أبي القاسم بن أحمد علي بن أبي إبراهيم الزياني[2] في كتابه جمهرة التيجاني وفهرس الياقوت واللؤلؤ والمرجان، في أبيات شعرية رتبها من الجد حتى إسماعيل حيث كتب :

نذكرهم على الترتيب وتواريخهم بالزمن القريب، وهم المراد بقولي هذا :

هذا عمود الخلفاء بنو الشريف من ملك العصر إلى المولى الشريف
تقلد الشريف في الصحراء في عام أمش أيام الشراء
وعام همش سلم الأمر زهد ونجله محمد له قصد
ثم الرشيد عام هعش طلبه وحارب الثوار كل غلبه
وعام يغش ملَكَ إسماعيل فمهد الغرب وفاض النيل
ونجله الذهبي أتى في طلقش وعابد الملك جافي مقش[3].

4- صفاته وخلقه:

في هذا الجزء من الموضوع نحاول تحليل الأدوار التي أدتها شخصيته، وهي تُعد من أكبر الشخصيات في تاريخ المغرب الحديث، والتي تضاربت الآراء حولها، بل أننا نجد آراء أجنبية مغرضة حاولت تشويه صورة هذه الشخصية، وهذا التشويه له خلفيات أيديولوجية بين المغرب المسلم من جهة وبين العالم المسيحي من جهة أخرى، وما ساد تلك المدة من صراع وتناحر بين العالمين ولاسيما المغرب الأقصى، الذي عرف بموقعه الجغرافي، ليؤدي الدور الهام في التصدي لهذا الصراع الأيديولوجي والتوازن السياسي في تلك المنطقة .

---

[1]- محمد البشير بن عبد الله الفاسي الفهري، المصدر السابق، ص:34.

[2]- أبو القاسم بن أحمد علي بن ابراهيم الزياني، ولد سنة 1147هـ/ 1734م ينتسب الزياني إلى بنو أمالو المشهورة في تاريخ المغرب نزح جده إلى مكناس من جبل آكو، وكان ذلك سنة 1099هـ عندما خرج السلطان مولايا إسماعيل لمحاربة آيت أمالو، أنظر جمهرة التيجان وفهرس الياقوت والؤلؤ والمرجان، ص: 12.

[3]- أبو القاسم بن أحمد علي بن ابراهيم الزياني، جمهرة التيجان وفهرس الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان، تحقيق عبد المجيد خيال، ط1، منشورات محمد علي ياضون للنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ص:107.

من ملامحه الشخصية، جميل الصورة نحيف الجسم أبيض، أسود العينين قليل لحم الخدين، غليظ الشفتين طويل اللحية، حاد الذهن نشيط لا يعرف مللا ولا كسلا، خفيف الحركة، ماهر في الفروسية والألعاب الرياضية[1]؛انظر الملحق رقم 5.

كما وصفه الأسير مويت[2] الفرنسي، الذي هو عدوه الذي أتيحت له الفرصة لمشاهدته :

<< إن مولاي إسماعيل الحسنيَ لملك فاس ومراكش و تافيلالت ،طويل القامة لكنه نحيف جدا ولو أنه يظهر غليظا بسبب الملابس،حسن الملامح ذو لحية طويلة متفرقة قليلا>>[3].

أيضا قال فيه مؤرخ فرنسا سان ألون سفير لويس الرابع عشر[4]، ملك فرنسا يصف له أخلاق السلطان إسماعيل : (**أما أخص أوصافه فهو الاعتقاد الراسخ في الدين لا تأخذه في الدين لومة لائم مستحضر لآيات القرآن في كثير من أحواله ومضحيا بنفسه في سبيل نشر الدين، وعلو كلمته وبالجملة فإنه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على أصول الدين مثل مولاي إسماعيل منذ قرون مُطلَع على العلوم الدينية متُفقه مُستحضر لمسائله الأصلية ، يتمذهب بمذهب مالك ويصوم زيادة شهرين على شهر رمضان)**[5].

من جهة أخرى فإنه خبير جدا بالحرب، شجاع عظيم في شخصيته، يسير دائما على رأس الجنود ويُصففهم بنفسه عند المعركة، يكون دائما هو المهاجم الأول للأعداء ولا يفر

---

[1]- عبد الرحمان بن زيدان، المنزع اللطيف ، المصدر السابق، ص:47.

[2]- هو جيرمان مويت الفرنسي ذو موهبة في الكتابة و صاحب ذاكرة قوية تختزن الأحداث و هو من الأسرى الذين تم القبض عليهم في البحر من طرف قراصنة سلا وتم القبض عليه في سنة 1670م في سفينة بحرية ولما وصل السلطان إسماعيل إلي العرش أطلق سراحه ورجع إلى باريس سنة 1681م بعد مدة من الأسر ، من مؤلفاته : رحلة الأسير مويط ، انظر كتاب ،جيرمان مويت رحلة الأسير مويت ،ص ص:5-7.

[3]- جيرمان مويت، رحلة الأسير مويت، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، د ط، دار المناهل للطباعة و النشر، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، المغرب، 1990، ص:74 .

[4]- لويس رابع عشر، أشهر واكبر ملوك فرنسا ، ولد سنة 1638م ، ولما توفى والده لويس ثالث عشر لم يكن عمره يتجاوز خمسة أعوام ،فحضنته أمه التي نصبة وصية علي عرش فرنسا ، إلى أن بلغ سن الرشد وصار يباشر من سنة 1661م أمور مملكته بنفسه وقد توطدت السلطة في عهده وعرفة فرنسا في عهده إصلاحات كثيرة وحققت تقدما كبيرا، انظر روضة التعريف ، ص : 97.

[5]- عبد الرحمان بن محمد بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، المصدر السابق ، ج2، ص:63.

أبدا[1]،خرب ديار أهل الشرك والكَفرة، وتشييد المآثر دال على ضخامة ملكه واشتداد حوزه في تهدين المغـــرب، حتى تمهد له من أقصى الظهـــرة إلى واد نون والساقية الحمراء، ومن البحـــر إلى أقصى الصحراء[2].

5- عدله وتواضعه :

من عدله وإنصافه ومراقبته وخضوعه للحق،وكان يسهر الليالي على مصـــــالح رعيته، وسعيه أناء الليل وأطراف في إخماد نيران الفتن، وتوطيد الأمن وكل ما يضمن راحة البلاد والعباولا يُهمل من حقوق رعيته حقيرا ولا جليلا، قال فيه أبو عبد الله اليفرني في الظل الوريف: (**لو لم يكن فيه إلا خصلة واحدة لكفت في عدله وذلك أنه لا يحتجب عن الناس في داره)**، ومن ما قال في مدحه عبد الحق السحيمي وهو يعبر عن أحسن صفة فيه، وهنفيلما اختَص ّ به المولى إسماعيل من الشرف والتواضع حيث يقول :

يُباشر في كل الأمور أموره بقلب نقي للمكارم منبع[3].

من أهم أعماله أنه كثرت عمارته،جدّ وجدّ د للناس في أيامه للعلوم عهدا فكانت أسواق العلم في أيامه عَامرة،ونجوم أفلاكه يزَ ّ ة زاهرة، وأدرك الهناء في أيامه كثير من الضعفاء والأيتام، وقام فيه كثير من الناس بالعلم والدين أتم قيام، وأما أمره في الحلم والجود وفي الشجاعة وعلو الهمة، وغير ذلك من خصال الكمال، وكان كثير من الناس يطلب من الله تعالى الموت لنفسه في حياته ،وذلك اعتبار بما أمر الله به على رعيته، من الظل الظليل،وما نالوا من بركاته من العز الجليل[4].

كما كان من شدة تواضعه أيضا أنهُ ـناول لعماله الجير بيده، في بعض الأحيان وهذا غاية في التواضع ،وهضم النفس وخلع لباس التجبر والتكبر والتعاظم، وقد حكي بعض المغاربة

[1]- جرمان مويت، المصدر السابق، ص:75.

[2]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية ، ج1، د ط، ددش، ص:329.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر السابق، ص ص: 59-60.

[4]- محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف المصدر السابق ، ص:58.

أن المولى إسماعيل، دعي علماء عصره إلى الطعام فلما فرغوطبَ ّ على أيديهم الماء وهذا غاية في التنزل والتخلق بالأخلاق النبوية[1].

6-جهوده في مجال العلم :

إن ازدهار أية ثقافة في أي بلد تعتمد على عاملين أساسين هما الاستقرار والأمن واهتمام السلاطين بالجوانب الثقافية والعلمية بغية تشجيع أهل العلم والأدب، حيث يكون للثقافة دور مهم في توحيد العواطف والمشاعر وتقريب المصالح المشتركة و إيجاد الحافز النفسي.

كان لملوك الدولة العلوية دور كبير في مجال العلم، واتساع في معرفة الكتب، ولهذا الاعتبار فهم لم يقتصروا على طلب المخطوطات العربية المحفوظة في إسبانيا، بل إنهم قد اتصلوا حتى بملوك فرنسا بأمل استعادة المخطوطات العربية الموجودة في المكتبات الفرنسية، وشرع السلطان إسماعيل في أول محاولة؛فقد طلب من لويس الرابع عشر الكتب العربية التي كانت في فرنسا[2]، إن بعد تصفح الكتب التاريخية المتعلقة بالعهد العلوي نجد عهد المولى إسماعيل عهدا زاهرا بالعطاء المعرفي،كما كان زاخرا أيضا بالأوقاف و اهتم اهتماما بالغا أكثر من ما اهتم به سلفه من قبل، خاصة بما يتعلق بالحياة الثقافية، فبنىوقَ ـــــعد وانسووقَف وحَ بس وأَعطى ووهب،وجاء بما وجب من النسب[3].

كان لاهتمامه بالعلم والعلماء الأثر البالغ في أن تظهر أغصان جنة العلوم والمعارف وصلحت ثمارها وتتفتح في الدولة المغربية أكمام أزهارها بعد الذبول؛ يذكر محمد بن أحمد الكانوني العبدي في كتابه أنه**قد جَدّ د في دولته العلوم والمراسم، فكانت أسواقه معمورة المواسم والمعاهد في أيامه عامرة ونجوم أفلاكه بها زاهرة، فقام كثير من الناس بالعلم والدينيأَ ّ قيام ومعاهده الدينية بمدن المغرب بـذلك شاهدة وهذه مدن مكناسة الزيتون**

[1]- عبد الرحمان بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر السابق، ص ص:61-62.

[2]- أحمد شـوقي بنين، تاريخ خزائن كتب المـغرب، تر: مصطفى طـوبي، ط1، مطبعة الوراقة الوطنية، مـراكش، 2003، ص ص:190-191.

[3]- السعيدور كبة، دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، ج1، د ط ، مطبعة فضالة زنقة ابن زيدان، المحمدية، المغرب، 1996، ص:208 .

ومساجدها وغير ذلك من المساجد[1]؛فكانت للعلوم في أيامه عهدا زاهرا وأدرك الهناء في أيامه كثير من الضعفاء والأيتام[2].

فنجد أكبر دليل وأوضح برهان على شغفه بالعلم والعلماء كتابه لعلماء فاس بالحث في الاجتهادفي بث العلم وصرف نفائس الأنفاس في نفع العباد وإحياء البلاد ونَص ذلك الكتاب على[3]: (**إن الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك وأعلم أن العالم في الأرض،كالنجم في السماء،من ترك العالم ظل ،ومن غاب عنه النجم تحير، وأعلم أن بالعلم ساد من سَاد وإنتضمت مصالح الدين والدنيا به، و به تتنور بصائر أهل العرفان، ويتضح الحق من الباطل ويَتبين الرشد من الغي، ويظهر الإيمان وبه يحصل التقدم في المحافل وترفع به الدرجات في العاجل والآجل، وبه تنكشف للأذهان معان تطرب بها الأرواح وتنشرح بها النفوس**)[4].

فقد كان السلطان إسماعيل شخصية فذة متميزة، قل أن يجود التاريخ بمثلـــها فقد جمـــع بين العلمو الأخلاق والشجاعة المادية والأدبية، فقد كان مهتما لمعرفة علوم الحديث، والأدب والتاريخ والأنساب والسير،وأقر بذلك العلماء والباحثون و المؤرخون، كالمؤرخ أبي عبد الله محمد الصغير الافراني في قوله : (**أما مسائل التاريخ ومعرفة الأنساب فهو العارف بدسائسها، يعرف القبائل العربية ونال من العلم الغاية القصوى منه، فكان يعمل على نشره وينفق بسخاء حتى بعث حركة علمية، ازدهرت في ظلها جميع فروع المعرفة في عهده، مستهـدفا خـــلق مناخ ثقـــافي يواكـــب أعمـــال مجالسه العلمية الجليلة، ويتجاوب معها في توافق وتناغم وانسجام،كما اهتم بالطلبة الكبار في المعاهد العليا**

[1]- محمد بن أحمد الكانوني العبدي، علائق أسفي ومنطقتها بملوك المغرب، تح: علال ركوك وآخرون، ط1، مطبعة ربانيت، المغرب، 2004، ص ص: 90-91

[2]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية، ج1، المصدر السابق ، ص:329.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان ، المنزع اللطيف، المصدر السابق، ص:104.

[4] - عبد الرحمان بن زيدان، المصدر السابق ، ص:106 .

،فكان يجري لهم اختبارات ويختار المتفوقين منهم للمناصب الشرعية والدينية وغيرها ،ويتكون أعضاء في مجالسه العلمية مكافأة لهم وتشجيعا لغيرهم)[1].

المبحث الثاني : ظروف وصوله إلى الحكم.

بعد وفاة الرشيد في اليوم الثاني من عيد الأضحى، بعدما جمح به فرسه في البستان فأصابه عود من الشجر في رأسه مات منه رحمه الله، فكانت مدة ملكه سبعة أعوام إلا شهرين[2]، بعد جهود كثيرة في توحيد المغرب ليخلفه بعد ذلك السلطان إسماعيل سنة 1672م[3]، الذي كـــان لرشيد قد استخلفه، على مكناسة الزيتون لأنه اختبر سيرته و شـــجاعته ، فرأى من فطنـــته ملـزاد به و لُوعا و كساه محبة عنده[4].

إن الحادثة التي وقعت للسلطان الرشيد أثناء إقامته في مراكش[5]عاصمة الجنوب، في ثاني أيام عيد الأضحى لسنة 1082هـ/1672م، كانت فرصة فريدة أمام السلطان إسماعيل الذي وصلت إليه أنباء الحادثة في وقت مبكر ، فتمكن من الاستيلاء على فاس وعلى ما بها من كنوز السلطان الرشيد[6]، وما كاد خبر وفاة الرشيد ينتشر بين المغاربة، حتى ظهرت بوادر

---

[1]- آسية الهاشمي البلغيثي، المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة ، ج1، د ط ، مطبعة فضالة ، زنقة ابن زيدان، المحمدية ، المغرب ، 1994، ص ص: 235-236 .

[2]- أبي قاسم أحمد الزياني، الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولايا الشريف بن علي منقولة من كتاب الترجمان المُلَرب عن دولة المشرق و المغرب، د ط ، طبع بمدينة باريس في المطبعة الجمهورية ، باريس، 1882، ص: 12.

[3] - محمود السيد ، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، المرجع السابق، ص:283.

[4]- محمد الصغير اليفراني، روضة التعريف، المصدر السابق، ص:60.

[5]- من اكبر العواصم ى أشهر مدن إفريقيا ، تبعد عن الأطلس بحوالي 14ميلا بني من طرف يوسف غبن تاشفين، بتصاميم مهندسين ممتازين وبارعين ، انظر : حسن الوزان ج1،ص ص: 126-127.

[6]- جلال يحيا، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثالث، تصدرها الأمانة العامة لإتحاد للمؤرخين العرب، 1974م، ص ص:10-11.

الصراع على السلطة بين خليفته في الشمال والجنوب، فقد بايع سكان مدينة فاس و مكنـاس السلـطان إسمـــاعيل[1].

بينما عين المراكشيون ابن أخيه بن محرز الشريف[2]حاكما على مراكش[3]، بعدما اتجهت رغبات أهلها،وفيهم العلماء و الوجهاء إلى ابن محرز و بايعوه ضد عـــــــمه إسماعيل، مستغلين بذلك استقبال السلطان إسماعيل للوفود المبايعين له من مختلف الجهات، ورغم ذلك فإنه لم ينتظر طويلا[4]، فهاجم على مراكش و احتلها وأعلن حاكمتيه عليها[5].

فممارسة السلطان إسماعيل للسياسة كنائب عن السلطان الرشيد في مكناس، جعلته يتميز بالصرامة و عدم التسامح تجاه الذي يعملون على التمرد على النظام و أمن السكان، فهو بذلك يكون قد اكتسب خبرة سياسية في مجال التسيير والتعامل مع مختلف الحركات الانفصالية التي كانت في كل مرة تهدد السلاطين[6].

بعدما انفتح باب الثورة على مصراعيه في جهات مختلفة من المغرب، الذي تركه العاهل الرشيد موحدا، وبدأت الثورة داخل المدن الرئيسية كمراكش، تـــارودانت و فاس، و ثارعدد

[1]– أحمد بوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن السابع عشر مطلق قرن العشرين، دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية ، د ط،صدر هذا الكتاب بدعم من مؤسسة الملك عبد العز يز بالدار البيضاء، آفاق متوسطية، الدار البيضاء، 1994، ص:109.

[2]– هو أبو العباس احمد بن محرز، ابن المولى الشريف، ثار في مراكش على المولى إسماعيل، فوقعة بينهما حروب ومنازلات عديدة، قتل سنة 1096هـ، انظر: محمد الغساني، رحلة الوزير، ص: 172.

[3]– عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية، تر: محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1989، ص:437.

[4]– عبد الكريم الفيلالي، التاريخ السياسي للمغربي العربي الكبير، ج4، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة، 2006، ص:126.

[5]عزيز سامح التر ، المر جع نفسه، ص:437.

[6]– إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المرجع السابق، ج3، ص:32 .

كبير من قبائل الأطلس وجملة من الأمراء ذلك لأن ولاية العرش لم يوضع لها أي نظام[1]، ممـا جعـــل مسؤولية إتمام توطيد البلاد و الأمن على عاتق السلطان إسماعيل بعد أخيه[2].

بعد فراغه من حروبه مع ابن أخيه ابن محرز و أخوه الحران بسوس و مراكش التي كانـت ذكرياتها سيئة على السلطان إسماعيل و أراد تحسينها، إذ سبق له أن حاصر المدينة قرابة سنتين حيث تم توحيد البلاد و استرضاء السكان[3].

لقد كان للسلطان إسماعيل كل الفضل في إرساء معالم دولة المغرب الأقصى،في وقت كانت فيه البلاد مهددة بالتمزق و التفكك و الضياع[4]،

وصار للمغرب في عهده شخصية دولية مرموقة ،حيث كانت له علاقات عديدة مع الدول الكبرى[5].

كانت فترة حكمه سبعة وخمسين سنة،كانت سنوات رخاء ةو خير و بركة للمغرب وقد وسَّع من خلالها حدوده إلى غاية مدينة وجدة[6]، وثبت تلك الحدود[7].

- **بـــــــيعتـــــــه:**

لما تحقق الناس بموت المولى الرشيد، لحقهم من الأسف ما لا يعبر عنه، واقبلوا إلى السلطان إسماعيل و ورادوه على البيعة و الانتصاب للإمامة؛ فأظهر الامتناع و الاعتذار بضعفه وقلة حماته وأنصارهلم يَزالوا معه حتى قَبل،فعقدوا بيعتهم له بالسمع والطاعة،و الانقياد تحت سلطته[8].

---

[1]- نفسه، ص:34.

[2]- حسن جلاب، الحركة الصوفية بمراكش، ظاهرة سبع رجال، ط1، مطبعة الوراقة الوطنية بمراكش، 1994، ص:172.

[3]- حسن جلاب، المرجع السابق، ص ص: 174- 175.

[4]- عبد الرحمان بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر السابق ، ص: 07.

[5]- حلمي محروس، تاريخ إفريقيا المعاصر، ج1،المرجع السابق، ص: 254.

[6]- هي مدينة قديمة أسسها أهلها في سهل جميل بالقرب من مدينة تلمســـــان، تمتاز بكثرة الحبوب والمراعي الواسعة، انظر :مارمول كربخال ، إفريقيا ، ج2 ص : 294.

[7]- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب الأقصى –موريتانيا- السودان)، ط1 دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة ، د س، ص:296.

[8]- محمد الصغير اليفراني، روضة التعريف، المصدر السابق، ص:60.

بويع إسماعيل سلطانا للمغرب وقدم عليه أعيان فاس وعلمائها، وكل وفود أهل المغرب من الحواضر والبوادي، بهداياهم و بيعتهم، فجلس للوفود إلأن فرغ من شأنهم و رتب أشغاله بمكناسة، إذا كان لا يريد عنها بديلا، حيث أعجبه ماؤها وهواؤها، وشرع في بناء قصورها بجوار قصبة الموحدين[1]؛ أما ما ذكره الإفراني في كتابه نزهة الحادي، فهو مشابه لما ذكره البستان الظريف لأبو القاسم الزياني بالنسبة لطريقة بيعة السلطان إسماعيل حيث ذكر الإفراني:

<< لما توفي مولانا الرشيد رحمه الله تعالى بمراكش، بلغت وفاته أبا النصر مولانا إسماعيل رحمه الله تعالى ،و كان خليفته بفاس الجديدة ،ليلة الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة سنة اثنين وثمانين وألف، فبويع رحمه الله، وحضر بيعته أعيان المغرب و صلحائها بحيث لم ينازع في أنه أحق بها، وكانت بيعته رحمه الله، في الساعة الثانية من يوم الأربعاء سادس عشر من ذي الحجة ،عام اثنين وثمانين وألف، و وافق ذلك ثالث يوم من شهر أبريل، وكانت سنه رحمه الله يوم بويع ،ستة و عشرون سنة، لأن ولادته كانت في وقعه القاعة، و هي مؤرخة يخط من أثق به سنة ستةوخمسين و ألف>>[2].

هذا ما وجد في كتاب الإفراني نزهة الحادي، حيث قال أنه لم ينازعه أحد على الحكم، و نجد الأمر مخالفا لما ذكر في كتاب نشر المثاني لمحمد بن الطيب القادري، أنه لما بويع السلطان إسماعيل في اليوم الذي وصل إلى فاس خبر وفاة أخيه،و هو يوم الأربعاء خمسة عشر من ذي الحجة عام 1082هـ،وو جه السلطان إسماعيل الجيش لسائر أقطار المغرب يأخذون له العقدة و البيعة، على سائر القبائل الخاص و العام، ثم وصله بعد بيعته بفاس، خبر وهو أن ولد أخيه احمد بن أخيه محرز يريد التحرك إلى مراكش بطلب من أهلها، هو أن يبايعوه ويقيموه مقام عمه الرشيد، و المولى احمد هذا كان خليفة عند السلطان الرشيد علي سجلماسة، الصحراء، توات،درعة وانكاد، وما إلى ذاك من البلاد، فلما سمع بذلك السلطان إسماعيل، أسرع في النهوض وخرج إلي مراكش يوم الخميس آخر ذي الحجة 1082هـ، فوصلها وخرج أهلها إلى قتاله فالتقى الجمعان يوم الخميس السادس من محرمفهُ زم أهلها في غده وهو يوم

[1]-أبو القاسم الزياني، البستان الظريف، المصدر السابق ، ص:147.

[2]-محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي، المصدر السابق، ص:429.

الجمعة،وسامح أهلها ودخلها وبايعوه، ثم نقل أخاه الرشيد في تابوت، فوصلها يوم الاثنين 7صفر ودفنه بروضة سيدي علي بن حرازم[1].

قبل هذه المعركة نجد انه بويع بفاس يوم الأربعاء خمسة عشر ذي الحجة 1082، واجتمع علي بيعته أهل الحل والعقد، ووفدت عليه الوفود من المغرب حاضرةوبادية إلاّ مراكش وأعمالها فانه قام فيها المولي احمد بن محرز[2].

بعد بيعته تمهدت له البلاد وأطاعته العباد، حتى استولى علي تخوم السودان وبلغ قرب السعيد في المشرق والى الزاب حيث بلغ ملك الذهبي، وبلغ في التلول إلى الأقصى المغرب، و بالشرق إلي مازونة ومنداس، وذكر فيه بعض الصالحين إن وجود السلطان إسماعيل أمان للمغرب من الغلاء وسبب في الخصب والرخاء[3].

لما انعقدت له البيعة في سائر الأقطار، اتخذ مكناسة الزيتون دار القرار، ووأ جد فيها من البناءات الهائلة الرائقة مايحير الأذهان، قـــــــال صاحب كتاب الأنوار: **لما أشرفت علي مكناسة الزيتون، رأيت بظاهرها عجائب من البنيان بديعة، ثم أُنبئت أن باطنها فيه مصانع غريبة لم يأتي بها من مضى وغبر من الملوك، فسألت عن الأمر بالتفصيل فقيل لي ليس ثمة آمر إلا مولانا إسماعيل**[4]؛ وبهذا القول نستنتج التغير الهائل الذي طرأ علي مكناس منذ وصول السلطان إسماعيل، وفي ذلك أنشد بعض الأدباء قائلا:

أمكناسة إنيلِ ُؤياك عامـــــل وإن عاقني شغل من الدهر شاغل
فأنت التي حـُ زتي المفاخر كلها ومنك تفشت في البلاد الفضـــائل
إذا افتخرت مراكش ببديعها ففي القبة الخضراء تضيق الأقاول
وإن ذُ كرت مصر بجامعها الأزهر ففي جامع الخضراء بدور كـــوامل
لكيالفخر يا مكناسة قد حوته كأنك بحر والبلاد جـــــــداول[5].

[1]- محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني، ج2، المصدر السابق، ص ص:200-201.

[2]- محمد ابن أحمد الكانوني العبدي، المصدر السابق، ص:89.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر السابق، ص ص:46-47.

[4]- احمد عبد العزيز العلوي، الأنوار الحسنية، دط، نشر وزارة الأنباء، المغرب،دس، ص: 89.

[5]- محمد الصغير اليفراني ، روضة التعريف، المصدر السابق، ص ص:63-64.

بذلك كانت مدة إمارته سبعة وخمسين سنة كان خليفة، على أخيه المولى الرشيد سبعة أعوام، فمجموع مدته أربعة وستون سنة رحمه الله[1] .

المبحث الثالث : وفـــــــــــــــــــــاته.

في الوقت الذي ارتفع فيه المغرب كدولة، إلى مصاف الدول ذات الاعتبار في القرن الثامن عشر، كانت صحة السلطان إسماعيل قد تدهورت، ووقتها قيل أصبح إقباله على مجالس العلم وملازمته العلماء أكثر، وقد كان تخطيطه مختلف عن الذين تقدموا من الملوك الذين تعاقبوا على حكم المغرب حيث أنه لم يُعين أحدا لخلافته من أولاده، ولا حتى بالتعريف بمن سيخلفه، فالدولة التي أسسها محمد بن الشريف ومكن لها الرشيد وأرسى قواعدها إسماعيل، لم تكن في نظره دولة عنصر متميز على المغاربة ولا بين المغاربة الذين نظم السابقون مجتمعهم[2].

كانت أيام السلطان إسماعيل رحمه الله، على ما ذكرنا من الأمن والعافية وتمام الضبط حتى لا يبقى لأهل الفتنوالفساد محل يؤون إليه و يلجؤون له، فقد كان خليفة ونائبا عن أخيه المولى الرشيد سبعة سنين، وسلطانا وملكا متنقلا سبعة وخمسين سنة، حتى كان جهلة الأعراب يعتقدون أنه لا يموت، وكانت المدة التي استوفاها السلطان إسماعيل في الملك لم يستوفها أحد من الملوك الذين سبقوه، وقد أقام في الخلافة ستين سنة؛ وكان سبب موته هو

[1] – أبو العباس أحمد ّالهوني، عمد الر اوين في تاريخ تطاوين، ج2، تح: جعفر ابن الحاج السلمي، ط2، الطوبريس للطباعة والنشر، شارع ابي جرير الطبري، طنجة ، المغرب، 2001، ص: 40.

[2] – عبد الكريم الفيلالي، ج4، المصدر السابق، ص:256.

مرضه في سنة 1139هـ، حيث بدأ مرضه يسوء ولما أحس بالضعف بعث إلى ولده أحمد الذهبي[1]صاحب تادلا يستقدمه فقدم عليه[2].

لقد كان لهذا السلطان فلسفته السياسية ومبادئه التي اقتنع، بها ثم طبقها في أطوار حياته والتي كانت في مجملها تهدف إلى تحرير الوطن من الدخيل الأجنبي، وتقوية الدولة وسلامة السكان، ولقد قيل أنه لما اشتد به المرض وأحس باقتراب أجله أرسل إلى الفقيه صديقه ووزيره اليحمدي، ليستشيره فيمن يصلح من أولاده ليعهد إليه من بعده ،فتردد اليحمدي في إبداء رأيه، لأن الموقف موقف شهادة يدونها الحفظة ويسألون عنها[3].

لكن أمام إصرار السلطان قيل أنه أجابه بكل صدق وأمانة << **إنـــــه لا ولد لك** >>، فرد عليه السلطان صدقت والله ،ومهما يكن فإنه في نظر التاريخ لا أثر بالوصية بالعهد من السلطان إسماعيل لأحد من أولاده، لأنها لو كانت ما أهملها التاريخ[4].

وبذلك ترك المولى إسماعيل بعده العرش فريسة للنزاعات، في ظل الغموض المحيط بقواعد وراثة الحكم، وكثرة الأمراء الطامحين، تمخض ذلك في دخول البلاد من جديد في دوامة من الحرب الأهلية، على امتداد ثلاثين سنة من 1727م إلى غاية 1757م، اهتز خلالها الحكم المركزي أمام تلاعب جيش العبيد، وكثرة خلع الأمراء وتوليتهم،كانت البلاد بعد وفاته، تعاني من آلام الاحتضار البطيء، ومع ذلك فإنها لم تستسلم للموت وما آلت إليه الأمور أظهر أن عناصر الالتحام والترابط كانت أقوى من عوامل التنافر والتمزق[5].

كان للمولى إسماعيل، من الأولاد على ما قيل وتواتر به الخبر خمسمائة ولد ذكرا وكذلك للبنات مثل ذلك،والذي خلف من أولاده وحسب ما ذكره أبو القاسم الزياني في كتاب البستان الظريف أنه كتب: << **عقب على ما شاهدناه عيانا في دفتر مولانا أمير**

---

[1]– هو احد أبناء السلطان إسماعيل عينه على نواحي تادلا، و بويع مباشرة بعد وفاة أبيه كسلطان سنة 1727م توفى بعد سنتين من حكمه سنة 1729م اثر مرض السل، انظر: زهرة الأكم، ص :204.

[2]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء، ج7، المصدر السابق ، ص ص:99-100 .

[3]– عبد الكريم الفيلالي، المرجع نفسه، ص: 255.

[4]– عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق، ص:256.

[5]– محمد الأمين البزاز ،تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، د ط ، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992، ص:20.

المؤمنين ،سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ،إذ كان يصلهم في كل سنة وكان يوجهنا لتفريق الصلة عليهم لسجلماسة مئة دار وخمسة دور لأولاده من صلبه ،وأما الذين لم يعقبوا أو عقبوا وانقطع عقبهم فليسوا في الدفتر، وأما الحفدة والأنباط فكان عددهم في أيام سيدي محمد ألفا وخمسا مئة وستين حفيدا، وزادوا عددا في دولة السلطان مولاي سليمان نصره الله>>[1]. وهنا نستنتج أ ن عدد أولاده كانوا كثيرين لكن لم يعترف بهم جميعا بل اعترف بالذين هم مسجلين بدفتر خاص .

لما توفي السلطان إسماعيل 1139هـ/1727م، تلا عهده اضطرابات وفتن لتنازع أبنائه على الحكم وتدخل الجيش واخذ يختل الأمن، وتشيع الفوضى وتسوء حالة البلاد الاقتصادية[2].

حيث انقطعت الطرق،عم الفساد في المدن والقرى، وكثرت الشكايات بباب السلطان، فتفاقمت الأمور وظهر الفساد وخربت البلاد وضاعت الأموال[3]، وتبدل أهل المناصب الذين كانوا في دولة إسماعيل، وجلس غيرهم من الذين لا خبرة له في الحكم، مما أدى إلي دخول البلاد في أزمات واضطرابات وفتن[4].

فقَدَ الناس معها طعم الأمن والاستقرار، ويحدثنا المؤرخون على معاناة الدول الكبرى،كفاس ومكناس، خلال هذه الأزمة وما عناه أهلها من الحصار والقصف، وما نتج عن ذلك من مجاعات ونهب وتشرد، ويقدم لنا محمد بن محمد طيب القادري صورة لحالة أهل فاس، فوجدوا أنفسهم أمام خيارين أحلاهما مر، إما هجرة ديارهم بحثا عن الأمن والطعام، و إما البقاء عرضة للفضيحة والهلاك؛ يقول القادري: (**ارتفع القطر وقوي النهب واشتد الأمر**)[5].

---

[1]- أبو القاسم الزياني، البستان الظريف ، المصدر السابق، ص:187.

[2]- شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، المرجع السابق، ص: 297.

[3]-محمد بن احمد الكانوني العبدي ، المصدر السابق، ص: 91 .

[4]- أبو القاسم الزياني، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب الشرفاء المغرب،تح ز شيد الزاوية، ط1، منشورات وزارة الأوقاف ووزارة الشؤ ون الإسلامية بالمملكة المغربية، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008، ص: 92.

[5]- لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من العهد السعديين إلي ما قبل الحماية، دط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، مطبعة فضالة، زنقة ابن زيدون، المحمدية، المغرب 1998،ص ص: 60-61.

إن الرخاء والازدهار الذي عاشه المغرب في عهد السلطان إسماعيل، جعل الذاكرة الجماعية تستحضر العهد الذهبي بعد وفاته، وجعلت المسن يتحسر عليه في ظل الصراع الذي اندلعت بين أولاده حول الحكم، وجعل الكثير يحن إلى السلطان الراحل[1]، الذي مع رحيله تهافت المنافسون علي اقتسام الوزيعة، و مضى شريط الاضطرابات دون توقف وعادت البلاد إلى الاضطرابات والفتن وعادت المجاعة إلي الظهور من جديد، مع ما يواكبها عادة من أوبئة فتاكة.

إن وفاة إسماعيل سنة 1727م، قد أسقطت البلاد في دوامات الحروب، وأصبح الشغل الشاغل لكل من السلاطين المتصارعين علي الحكم هو جمع المال بأي طريقة[2]، ولقد حدد يوم السبت 22 رجب 1039هـ تاريخ لوفاة السلطان إسماعيل رحمه الله، فغسله الفقيه العلامة احمد ابن سيدي السعيد العميري، وصلى عليه العلامة الحسن ابن رحال المعداني[3].

فقد كان الناس قبل وفاة السلطان إسماعيل يتخوفون موته لما يترقبون من الفتن، وكثير منهم يطلب الله تعالي، أن يموت في حياة هذا السلطان، لما شهدوا في أيامه من عيش الضعفاء و الأيتام، إقامة الناس لإحياء الضائعين أتمّ قيام، وإذا تتبعنا أخباره ومآثره فلا يسعنا مجلد، فبعدا وفاته تراكمت الفتن في جميع أقطار المغربوسُ فك في الدماء ما لا يحصي، ووقع نهب كثير من الأموال، وكاد يهلك جميع من في المغرب لولا لطف الله ورحمته بالمؤمنين[4] .

كما نجد صاحب البستان يقول فيه:<< **ولقد شهدت الكثير من آثار الدول فما رأيت أثرا أعظم من أثاره ولا بناء أضخم من بنائه، ولا أكثر عددا من قصوره، لأن هذا السلطان لم يقتصر على قصر ولا عشرة ولا عشرين، بلى جعل مباني عديدة، في بطن تلك القلعة المكناسية**>>[5]، كانت هذه القلعة هونفسه قائما على بناء حـَضـْرتهاو كلما أكمل قصرا أسس غيره ولما ضاق مسجد القصبة بالناس، أسس الجامع الأخضر و جعل له

---

[1]-محمد الأمين البزاز، المرجع السابق ، ص: 37.

[2]-محمد الامين البزاز، المرجع السابق، ص: 41.

[3]- فقيه جليل مالكي الذهب ، عينه السلطان إسماعيل قاضيا علي مكناس ، وهو من صلى بالناس يوم وفاة السلطان إسماعيل ، توفى سنة 1728م، انظر : ليفي بروفنصال ،مؤرخو الشرفاء ، تع: عبد القادر الخلادي، القسم الثاني، دط، دار المغرب لتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، 1977م، ص: 212.

[4]- محمد الطيب القادري، نشر المثاني، ج3، ص ص: 290-293.

[5]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء، ج7، ص: 103.

بابين باب إلى القصبة و باب إلى المدينة، وجعل لهذه القصبة عشرين باب، وقال فيه أيضا : << **وقد شاهدنا أثار الأقدمين في المشرق و المغرب و بلاد الترك والروم، فما رأينا ذلك في دولهم ولا شاهدناه في أثارهم، بل لو اجتمع أثار ملوك الإسلام جح ما بناه المولى إسماعيل رحمه الله في قلعة مكناس دار ملكه**>>[1].

[1]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،المصدر السابق، ص ص: 54-55.

المبحث الأول: السياسة العسكرية :

أولا: تكوين الجيش:

لقد أدرك المولى إسماعيل أن من الأسباب التي عجلت بسقوط السعديين وزوال ملكهم كما حصل مع الوطاسيين، هو فشلهم في استرجاع المدن الساحلية التي استولى عليها البرتغاليون، و أنه لا استقرار بدون تحرير تلك المدن، ولا وسيلة لتحريرها و التمكن للاستقرار إلا بجيش قوي منظم يحرر به كلا من المهدية وطنجة ثم العرائش أصيلا و يمكن به لحكمه الذي دام أكثر من نصف قرن[1].

إذا أمعنا النظر في النظام العسكري الذي بدأ المولى إسماعيل في بنائه تدريجيا منذ أن تولى الملك ،وجدناه يخضع لنفس القاعدة ونفس الغاية التي كانت المتعاقبة على المغرب تسعى لتحقيقها، و هي خلق جيش نظامي و إبقائه خاضعا للسلطة المركزية ، وقد استعمل لتحقيق هذه لتحقيق على وسائل تقليدية[2]، سبق للمنصور استخدامها على نطاق نسبي بينما استغلها السلطان إسماعيل على نطاق واسع[3]، ووسائل أخرى مبتكرة أعطت بعد خمسين سنة من الحكم نتائج تفوق بكثير النتائج التي وصل إليها الذين سبقوه.

أ- الوسائل التقليدية:

اعتمد السلطان إسماعيل في القضاء على حياة الفوضى و الاضطراب في بادئ الأمر على الأسلوب التقليدي و المتمثل في :

1- قبائل الجيش:

هذا النوع من القبائل ورثته الدولة العلوية عن الدولة السعدية، منها ما صار يظهر كعناصر دائمة في الجيش المخزني، وقد اتبع المولى إسماعيل معها نفس النظام الذي اتخذه معها السعديون،و هو الإعفاء من دفع الغرامات و الضرائب ماعدا الضريبة الشرعية كالزكاة والعشور، مقابل تجهيز عدد من الفرسان يكونوا رهن إشارة المخزن في أي وقت[4].

---

[1]- عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق ،ج4 ، ص:137.

[2] - ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، دط، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، 1997م، ص:63.

[3]- محمد علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص: 88.

[4]- ثريا برادة، المرجع السابق ، ص:63.

2-جيش الودايا:

تكون هذا الجيش على يد السلطان إسماعيل الذي انتدب بدوره عدة مجموعات قبلية من عرب معقل، وقد لعب هذا النوع التقليدي في الجيش العلوي دور الرئيس و الهيمنة المطلقة على بقية العناصر[1]، و جيش الودايا هذا من إحدى قبائل عرب المعقل بالصحراء، نزحت في عهد السلطان إسماعيل إلى نواحي مراكش، فاتخذ السلطان منهم إحدى أهم فرقه العسكرية[2]، و هذا الجيش من أمثل جيوش هذه الدولة الشريفة الذي حافظ عليها وأبقاها مستقرة،و ينقسم هذا النوع من الجيش إلى ثلاثة أرحاء :رحى أهل السوس، و رحى المغافرة، ورحى الودايا[3].

- فأما رحى أهل السوس:

فقد كان أهل السوس كما رأينا جند السعديين ومنهم أولا جزار وأولا مطاع، و وزارة والشبانات وكلهم من عرب المعقل، وقد نقلهم السعديون إلى مواجهة بعض القبائل المتمردة، ولما ضعفت الدولة السعدية استطال عرب الشبانات على آخر سلاطينها وقتلوه، ولما جاء المولى إسماعيل العلوي نقلهم إلى وجدة و اخلطهم بإخوانهم من المغافرة، وجعلهم جيشا واحدا و هو الذي يسمي رحى المغافرة[4].

- أما المغافرة :

فإن أصلهم من عرب الخلط، وكان المنصور السعدي قد أوقع بهم، فتفـــــرقوا في القبائل و أصبحوا عيالا على غيرهم ،فلما هرمت الدولة السعدية، اجتمـــــعواوعادو ا إلى أزغار وكثروا وتمولوا و اشتروا الخيل والسلاح، فلما جاء السلطان إسمـــــاعيل ضمهم إلى جيشه وجعلهم ودايا، و نزع سلاحهم وأخذا خيلهم،و جعلهم جندا وعرب غارمة يؤدون الزكاة و العشور[5]،

---

[1]-د لندة الأرقش و آخرون ، المرجع السابق ، ص: 145.

[2]- أبو القاسم الزياني، البستان الظريف ، المصدر السابق، ص:193.

[3]- أبو العباس بن أحمد خالد الناصري ، الإستقصا، المصدر السابق، ج7، ص: 50.

[4]- حسين مؤنس، تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ج3،ط1، العصر الحديث للنشر و التوزيع – بيروت –لبنان، 1992م ، ص:239.

[5]- حسين مؤنس، المرجع السابق ، ص:240.

و كانوا أخوال و أصهار السلطان إسماعيل، وقد انتقلوا معه سنة 1678م عندما غزا الصحراء، ووصل شنقيط ، و تخوم السودان و أدخلهم في سجل الجيش أو الديوان[1].

- أما رحى الودايا :

فهم القسم الثالث من الودايا، وقد قدموا على السلطان إسماعيل بعد دخوله مراكش للمرة الثانية سنة 1677م ،في ثلاثة موجات، فأثبتهم في ديوان الجندية وأوطنهم بالرباط بجوار قصبة مكناس، ثم أرسل منهم فيما بعدا جيشا لفاس الجديد[2].

هكذا كون السلطان إسماعيل جيش العلويين من هذه الودايا الثلاثة وكلهم من العرب، وكان لا يعيد لهم خيلهم إلا في وقت الحرب، و المقاتلين منهم لا يغرمون (غرامات الضرائب)، لكن بقية القبائل كانت تغرم و تؤدي الزكاة و العشور، وكانوا مخلصين للدولة[3].

2-قبائل شراكة:

ينحدرون من شرق المغرب و من منطقة تلمسان، وقد جعلهم السلطان الرشيد في شكل جيش مع فرقة عربية من الجيش السعدي و عناصر البربر[4]، وقد أبقاهم المولى إسماعيل في مراكز فاس كما كان عليه الأمر في عهد الر شيد، كسيف فوق رأس المدينة التي اشتهرت بثوراتها المتعددة .

3-جيش آيت يمور:

أنزلهم السلطان إسماعيل بقلعة تغالين في وسط قبائل آيت أومالو، وفرض عليهم نوعا من النظام العسكري يضمن سرعة تدخلها عند الحاجة، كما كان توطينها في مناطق حساسة كوجدة على الحدود التركية المغربية و داخل القبائل الجبلية المتمردة[5].

---

[1]- ثريا برادة ، المرجع السابق ، ص: 64.

[2]- نفسه، ص: 64.

[3]-حسين مؤنس، المرجع نفسه ، ص:240 .

[4]- فرديريك وايسجر بر، على عتبة المغرب الحديث، القسم الأول،تر: عبد الرحيم حزل ، دط، مطبعة الأمنية- الرباط، 1949، ص:70.

[5]-ثريا برادة ،المرجع نفسه، ص:64.

4-العلوج :

قد يبدو بديهيا لأول وهلة أن حضور العلوج بشيء من التميز من حيث الكم والكيف، في وحدات الجيش المغربي إنما يطابق الفترات التي يسود فيها الاستقرار السياسي و السلم الاجتماعي، و الرخاء والازدهار الاقتصادي و الثقافي الذي كانت تنعم به البلاد من حين إلى آخر ،خاصة أيام المرابطين والموحدين و السعديين[1].

قُدر عدد العلوج في أواخر عهد المولى إسماعيل بألف وخمسمائة وكانوا إما مَن تبقى من الذين كانوا في الجيش السعدي أو من المسيحيين أسرى تحرير الموانئ في عهد المولى إسماعيل، و كان اعتناقهم للإسلام يحررهم من الأسر ، و تم استعماله في حماية القوافل القادمة من توات ومن غينيا، والتي كانت تحمل إلى مكناس الضرائب، ولعبوا دورا كبيرا في حراسة بعض المناطق الحساسة. بحيث كانت هناك فرقة من العلوج تقوم بعمليات عسكرية تدوم عدة أشهر وأحيانا تدوم ما يناهز سنتين؛ كما استعملوا أيضا في المدفعية وكان لهم مكانة مرموقة داخل جيش السلطان إسماعيل[2].

إن هذه الوسائل التقليدية السابقة الذكر و المتمثلة في القبائل، قد سببت للسلطان إسماعيل العديد من المشاكل بسبب طابعها وطبعها البدوي ، وظهر ضعفها إلى أول صدام مع قوة نظامية حديثة كالأتراك[3]، كما أن جيش الوداية ، برهن عن عدم فاعليته في ساحة القتال وهذا ما جعل السلطان إسماعيل يفكر في الاعتماد على جيش مكون من العبيد و صرح بذلك قائلا :(**جعلنا بعون الله تعالى ننظر من يصلح للجندية ، ومن يليق بها فرأينا الأحرار و أهل المغرب لهذا العهدلا يصلحون للجندية و لا يليقون بها من وجوه شتى، لما جلبوا عليه من التكاسل والتخاذل، وغلبة الشهوق كثرة الأطماع منهم في داخل الطباع، وحيث رأيناهم على هذه الحال أعفيناهم و تركناهم على ما هم عليه من الانشغال بمعاشهم**

[1]- مصطفى الشابي، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر(1830-1912) ،ج1، ط1، المطبعة و الوراقة الوطنية، زنقة أبو عبيدة- الحي المحمدية، الداوديات-مراكش، 2008، ص:258.

[2]- ثريا برادة، المرجع السابق، ص- ص: 70-71.

[3]- محمد علي عامر و محمد خير فارس، المرجع السابق ، ص: 88.

و الإقبال على منافعهم)[1]، فكل هذه الأسباب جعلت السلطان إسماعيل يفكر في تشكيل جيش نظامي حقيقي يدين له بالولاء شخصيا و هو جيش عبيد البخاري[2].

ب- الوسائل المبتكرة:

إن العناصر التقليدية التي سبق ذكرها لم تكن كافية بالنسبة للسلطان إسماعيل، وإن المـدن و القبائل لم تكن تظهر دائما حماسا كبيرا للمشاركة في العمليات العسكرية المتتـالية و المتعددة[3]، لهذا كان لا بد من إضافة عنصر عسكري أكثر دوام من الأحلاف القبلية و أكثر طاعة و أشد إخلاصا تمثل في جيش عبيد البخاري[4].

1-تكوين جيش عبيد البخاري:

يعتبر جيش عبيد البخاري من أبرز الوحدات العسكرية المستحدثة في عهد المولى إسماعيل و جعلهم من أهم الوحدات الردعية للدولة العلوية، فقد إهتم السلطان إسماعيل على حد تعبير الزياني بجمع العبيد من الذين في خدمة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، و بهذا يكون السلطان إسماعيل قد استغنى عن العناصر التقليدية القبلية ، و أخضع العبيد في الدولة الإسماعيلية إلى نظام عسكري صارم، استلهمه من التجربة التركية[5]، ويتكون هذا النوع من الجيش من الزنوج لذين أخذوا من كافة مناطق المغرب، و قد استطاع السلطان إسماعيل بفضلهم أن يبسط سيطرته على مختلف مناطق المغرب الأقصى[6]، و قد انفردت فرقة عبيد البخاري بوضعية خاصة ومتميزة داخل مؤسسة الجيش سواء تعلق الأمر بالطريقة و الأسلوب المتبعَ[7]، خاصة و أن أصل هؤلاء العبيد غرباء عن القبائل و أجانب عن البلاد بدون أي ارتباط

---

[1]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص: 415.

[2] - محمد علي عامر و محمد خير فارس، المرجع السابق ، ص: 89.

[3]- ثريا برادة، المرجع السابق، ص:71.

[4]- نفسه ، ص:73.

[5] فردريك وايسجر، المصدر السابق، ص:70.

[6]- مصطفى الشابي، المرجع السابق، ج1، ص:118.

[7]- ثريا برادة، المرجع السابق، ص:74.

عرقي داخلي، وهذا كان من المؤهلات الأساسية التي جعلت السلطان إسماعيل يتخذهم نخبة جيشه وركيزة سلطته المركزية[1].

أما سبب تسمية هذا الجيش " بعبيد البخاري" هو أن المولىإسماعيل رحمه الله لما جمعهم و جمع أعيانهم أحضر نسخة من صحيح البخاري و قال لهم : (**أنا و أنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجمع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه و عليه نقاتل**)[2]. فعاهدوه على ذلك ن و أمر الاحتفاظ بتلك النسخة و أمرهم أن يحملوها حال ركوبهم، ويقدمونها أمام حروبهم لهذا أطلق عليهم اسم عبيد البخاري، وتعهدوا بالطاعة والولاء إلى هذا السلطان الذي ميزهم عن القبائل و إتباع السنة في خدمة المملكة،و كانوا يحملون في الحروب نسخة صحيح البخاري كرمز لهذه الوحدة بين الجيش والعرش على أساس الشريعة الإسلامية، و تم تسجيلهم في الديوان العسكري وبلغ عددهم مائة و خمسين ألفا ، وزع ثمانون ألفا منهم القلاع لحمايتها ورابط الباقي في المحلات المختلفة[3].

أما فيما يخص طريقة جمعهم فقد ذكر في كتاب الجيش العرمرم، بأن السلطان إسماعيل لما بلغ مراكش أول مرة كان يكتب عسكره من القبائلحتى أتاه عمر عليليش و كان هذا الأخير أبوه كاتبا مع الذهبي السعدي، ومع ولادة من بعده بدفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا عسكر المصور الذهبي، فسأله السلطان إسماعيل عل بقي منهم أحد، فقال نعم كثير منهم بأعيانهم ومن أولادهم و هم متفرقون بمراكش وحوزها، ولو كلفني سيدي بجمعهم لجمعتهم. فولاه أمره و كتب له إلى قيادة القبائل باءعانته على جمعهم[4]، وهذا هو سبب جمع عبيد البخاري ، وتم جمع حوالي ثلاثة ألاف في سنة واحدة منهم المتزوج وغيرهم، فكتبهم في دفتر ووجهه

---

[1]- ثريا برادة، المرجع السابق ،ص : 75

[2]- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق،ج7، ص:58.

[3]- عبد العزيز بن عبد الله تاريخ المغرب العصر الحديث وفترة المعاصرة ، ج2، دط ، نشر وتوزيع مكتبة السلام- الدار البيضاء، مكتبة المعارف- الرباط، -د س، ص ص :11-12.

[4]- أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي، ج1، تح: أحمد بن يوسف الكنوسي، دط ، المطبعة و الوراقة الوطنية – زنقة أبو عبيدة* الحي المحمدي- مراكش ،1994، ص: 125.

للسلطان[1]، و من أجل تحقيق ذلك المشروع عمد السلـطان إلى تعـــــداد الحـــراطين والعبيد في ديوان خاص بهم، و إلزامهم بالتجنيد بعد أداء قسم الولاء على كتاب صحيح البخاري[2].

هذا كله يوحي بأن السلطان إسماعيل، كان يعد العدة لتطهير شواطئ المغرب وتحريره من الاحتلال الأجنبي فأعد الجيش المغربي إعدادا كاملا لهذه المهمة، بعدما تفطن لمميزات العبيد الذين أمر بجمعهم[3].

1-موقف العلماء من جيش عبيد البخاري:

لقد لقيت فكرة تكوين الجيش الإسماعيلي معارضة حول طريقة تكوين هـــــــذا الجيش، وطبيعة علاقته بالمجتمع، و سبقت الإشارة إلى التعسفات التي رافقت جمع جيش العبيد حتى إن العملية أضرت بمصالح أرباب العبيد، خاصة أن العملية كانت لا تفرق بين الحر والعبد، و هذا ما سمح لعدد من علماء فاس برفض تدابير السلطان لتمليك العبيد، و ذلك بالارتكاز على أرضية فقهية صلبة[4]، وقد أثارت المسألة جدلا فقهية حاول السلطان تجاوزه باللجوء إلى استفتاء علماء مشارقة، لكنه لم يغفر لعلماء فاس معارضتهم له، فامتعض عدد منهم حتى اضطروا مغادرة المغرب والاغتراب .

عندما استفتى السلطان إسماعيل علماء مصر في شرعية تأسيس جيش العبيد بدأت أعيان العلماء المغاربة ،افتتح استفتاءه بهذا الحكم الصارم على الأوضاع التي و جد عليها المغرب فقال : (**لم نجد في هذا المغرب أمنه الله منذ ولانا أمره جندا معينا مرتبا موفرا يعتمد عليه و يطمئن به الخاطر إلا جيش عبيد البخاري)**[5].

---

[1]- نفسه ، ص: 126.

[2]- بهيجة سيمو، الإصلاحات العسكرية بالمغرب (1844-1912) ،دط ، المطبعة الملكية – الرباط ،2000م ،ص: 118.

[3]- شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص: 217.

[4]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص ص: 214-425.

[5]- نفسه، ص: 411.

ثانيا: القضاء على الثورات الداخلية:

واجه السلطان إسماعيل خلال ربع قرن ،ثورات في مختلف أنحاء المغرب، تميز خلالها بالقسوة إتجاه من كانوا يهددون سلطانه من أفراد أسرته أو من طرف القبائلو كانت هذه الثورات على نوعين[1]:

1. الثورات التي تزعمها أفراد من أسراته: كانت أخطرها ثورة إبن أخيه أحمد بن محرز، الذي تحالف مع الحران أخ المولى إسماعيل، وقد لقيا دعما من الأتراكو سببا له المتاعب خلال أربعة عشر عاما[2]، وأقام السلطان إسماعيل حصار على مراكش عام 1086هـ، ووقع قتال عظيم مات فيه من الفريقينعدد لا يحصى و استمر الحصار إلى غاية 1088هـ، فر من خلالها أحمد بن محرز و دخلها السلطات إسماعيل عنوة وسيطر عليها[3]، وقمع السلطان إسماعيل هذه الثورات بقسوة.

2. ثورات القبائل:إلى جانب ثورات أقاربه عاش المولى إسماعيل من ثورات القبائل، التي شاركت في ثورات أقاربه، وبزعامات قبلية و دينية ولهذه الثورات أسباب عديدة فقد كانت البلاد قد اعتادت حياة الفوضى و الاستقلال عن أي سلطة مركزية، وكانت ثورات بربر الأطلس الأوسط و جبل فازاز، وآيت عطا في الجنوب أخطر الثورات، وقد استطاع السلطان إسماعيل قمع كل هذه الثورات بكل شدة و قسوة معتمدا على القـــــــوة العسكرية و الجيش القوي[4].

ثالثا : تحرير الثغور والأراضي المحتلة:

لقد اتخذ السلطان إسماعيل لنفسه سياسةتحرير ثغور المغرب من الأعداء،و لاشك أن مجهوداته في هذا الميدان كانت كبيرة، وأنها أخذت جزءا كبيرا من وقته ومن مجهوده و مجهود قواته المسلحة، ورغم قلة ما أوردته لنا الوثائق،وضعف ما زودنا به المؤرخون العرب عن

---

[1]- أحمد إسماعيل راشد ،تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث و المعاصر (ليبيا ، تونس ، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، ط1 ، منشورات النهضة العربية- بيروت- لبنان، 2004م، ص:201.

[2]- محمد علي عامر و محمد خير فارس، المرجع السابق، ص: 86.

[3]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، المصدر السابق، ج1، ص:281.

[4]- محمد علي عامر و محمد خير فارس، المرجع السابق، ص ص:87-88

تفاصيل، هذه العمليات و إمكانياتها والطرق التي سارت بها وعدم اتفاق هؤلاء المؤرخين ببعضهم ، فيمكننا أن نرسم الخطوط العامة المبسطة لها مبتدئين بثغر المهدية[1].

1-تحرير المهدية 1092هـ /1681م:

بفضل سياسة السلطان إسماعيل وتجهيزه للجيش استطاع أن يحرر هذا الثغر، من أيدي العدو بالسيف[2]، وبذلك يكون قد فتحها عنوة بعد أن حاصرها مدة من الزمن، وكان فتحها يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الثاني عام 1092هـ/1681م، وأسر بها نحو الثلاثمائة من الكفار[3]، وكانت المعمورة المسماة المهدية، أول بلدة سارع إليها السلطان إسماعيل بخيله ورجله[4].

تذكر بعض المصادر أن عملية استيلاء السلطان إسماعيل على المهدية قد تمت بدون حرب، وذلك أن المغاربة قد منعوا وصول المياه إلى الحامية المسيحية الموجودة هناك، مما اضطر رجالها إلى الاستسلام، واستولى المسلمون على المهدية بدون أن يضحوا بمسلم واحد[5]، وما إن دخل المسلمون إلى قصبتهم حتى قاموا بتحسين الميناء و إعادة ترميم الأســـــوار والحصون، وساعدت أشجار غابة المعمورة على زيادةعدد سفن أسطول السلطان إسماعيل و أصبحت المهدية من بين أقوى و أهم القواعد العسكرية البحرية للسلطنة المغربية[6].

بينما يذكر إبراهيم حركات، أن فتح المهدية ، كان عاملا مشتركا بين القوات الشعبية، و الجيش النظامي، وقد قاموا بقطع الماء عن المعمورة (المهدية)، وحاصروها بضعة أشهر، ثم حاولوا الدخول إليها، لكن الإسبان اشترطوا حضور العاهل المغربي، الذي قدم عندئذ من مكناس، و تسلم المدينة التي غادرها المقيمون بها، وكان فتحها في ربيع الثاني

---

[1]-مدينة صغير اسسها احد الملوك الموحدين على مصب نهر سبو ،وهي مبني فوق تل تبعد 9كلم عن مدينة القنيطرة و40كلم عن الرباط وتسمي الأن بالمهدية. ينظر : حسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف إفريقيا ،ج1،تر محمد حجي ، ومحمد الاخضر ، ط2،ص :210،و روضة التعريف ،ص:71.

[2]- محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي ، المصدر السابق ، ص:301.

[3]- محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي، المصدر السابق، ص :431.

[4]- محمد الصغير اليفراني، روضة التعريف، المصدر السابق، ص:71.

[5]- حسين أمين، المرجع السابق، ص:22.

[6]- نفسه ،ص:23.

1092هـ/1681م[1]، ومن محاسن الدولة الإسماعلية تنقية المغرب من نجاسة الكفر، ورد كيد العدو عنه، و استطاع السلطان إسماعيل بعد فتح المهدية تحرير عدة مدن أخرى من يد النصارى[2].

2-تحرير طنجة:1095هـ/1684م:

تعتبر طنجة إحدى أهم المدن الساحلية التي استولى عليها البرتغاليون سنة 1471م، لتصبح فيما بعد تحت السلطة الاسبانية سنة 1581م، بعد ضم البرتغال إلى التاج الاسباني[3].

أما فتحها فقد بعث لها السلطان إسماعيل، بعد ثلاثة سنوات من فتح المهدية بجيوشه فضيقوا على من بها من النصارى، إلى أن ركبوا سفنهم و هربوا في البحر[4]، و تركوها خاوية على على عروشها وذلك في ربيع الأول سنة 1095هـ/1684م، فدخلها المسلمون من غير طعن ولا ضرب، وشرعوا في بناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها[5]؛ووصف إبراهيم حركات الهجماتالمنظمة والقوية على طنجة وتمكن المغاربة من الإستلاء على حصن خارج المدينة،وقتل من الانجليز حوالي ثلاثمائة و خمسون، مما حتم على الإنجليز الدخول في مفوضات مع السلطان إسماعيل بسبب الحصار الذي فرضه عليهم الجيش المغربي، وتحتم على الإنجليز الجلاء من المدينة، وكان خروج حاكمهم منها يوم 6 فيفري 1684م[6].

[1]- إبراهيم حركات ، المرجع السابق، ج3، ص ص:46-47.

[2]- أبو العباس بن أحمد خالد الناصري، المصدر السابق، ج7، ص: 63.

[3]- إبراهيم حركات ، المرجع نفسه، ، ص: 43.

[4]- محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي، المصدر السابق، ص:431.

[5]- أبو العباس بن أحمد خالد الناصري، المصدر نفسه، ص: 67.

[6]- إبراهيم حركات ، المرجع نفسه، ج3، ص ص: 45-46.

3-تحرير العرائش: 1102هـ/1691م:

في سنة 1691م تمكن السلطان إسماعيل من فتح مدينة العرائش[1]، وذلك بعد أن وجه إليها جيوشه وأوهم بقتال من بها من الروم، وفتحوها و غنموا منها غنائم كثيرة[2]، وقد استطاع السلطان إسماعيل من خلال تحريره للثغور تعزيز خزينة الدولة، فمثلا غنيمة العرائش يقول الأفراني: (**كان عدد نصارى العرائش قبل الإستلاء عليها ثلاثة ألاف و مائتين و حيث ظفر المسلمون بهم أسروا منهم ألفين، وقتلوا منهم اثني عشر مئة ووجدوا فيها من البارود و العدة مالا يحصى كثرة**)[3].

أما في كتاب تاريخ الضعيف، ذكر بأن السلطان إسماعيل أمر بحصار العرائش في آخر شوال و نزل عليها بجيوش كثيرة و كان فتحها على يد القائد علي بن عبد الله الريفي في السابع و العشرين من محرم عام 1101هـ واستولوا عليها و جيء بمن فيها من الكفار وهم ألف وسبعمائة و تم إطلاق سراح أميرهم من طرف السلطان وجيء بالباقي أسرى[4].

بينما نجد في نزهة الحادي اختلاف في السنة التي تم فيها فتح مدينة العرائش و الذي كان على يد السلطان إسماعيل بنفسه، الذي بعث لها جيشا وحاصرها قرابة ثلاثة أشهر ونصف، و قفتحها بعد معاناة شديدة، وحِصار ومقاتلات عديدة فر من خلالها الكفار إلى البساتين، و أقاموا بها يوما وليلة، فدخلهم الخوف فخرجوا منها صاغرين، وقطع بذلك دابر القوم الذين ظلموا، وكان فتحها في الثامن عشر من محرم عام 1102هـ وقد أنشد الشيخ الخطيب البوعناني الشريف، بمدح السلطان و يهنيه قائلا:

ألا أبشر فهذا الفتح نور قد انتظمت بعزمكم الأمور

و طير السعد نادى حيث غنى قد انشرحت بفتحكم الصدور

---

[1]- هي مدينة قديمة أسسها أهل البلاد على الساحل عند مصب واد ليش في المحيط يحدها البحر من جهة و النهر من جهة أخري وكانت عامرة قبل إن تعود أصيلة إلي المسيحيين ، تبعد عن طنجة ب 91كلم .انظر :مارمول كربخال ، إفريقيا، ج2 ،تر: محمد حجي وآخرون ،ص :188،وأيضا ، روضة التعريف ،ص:73.

[2]- محمد الطيب القادري، نشر المثاني ، المصدر السابق، ج3، ص:49.

[3]- محمد مزين، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية ، دط، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط ، 1988م، ص:262.

[4]- محمد الضعيف الرباطي ، المصدر السابق، ص:71.

و في ثغر العرائش قد نـــدى لقدركم على الظهـــــــــور
فكم رأس من الكفار أمسى قطيع الرأس مطروح يخـــــور[1].

4-تحرير أصيلا: 1102هـ/1691م:

لما فرغ المجاهدون من أمر العرائش عمدوا إلى مدينة أصيلا، فنزلوا عليها و حاصروا النصارى الذين بها سنة كاملة إلى أن بلغ بهم الحصار كل مبلغ، فطلبوا الأمان، فأموهم على حكم السلطان، ولما لم يطمئنوا لذلك ركبوا من الليل سفنهم و نجوا إلى بلادهم، فدخل المسلمون المدينة فملكوها، و ذلك سنة 1102هـ /1691م.

5-حصار سبتة:

بعد الانتهاء من تحرير أصيلا توجه الجيش إلى سبتة فنزلوا عليها وحاصروها، وأمدهم السلطان بعسكر من عبيده و أمر القبائل الإعانة في حصار سبتة[2].

بذلك تكون جهود السلطان إسماعيل بعد تحريره المهدية، طنجة،العرائش و أصيلا، إلى محاولة فتح باقي المراكز الشاطئية المحتلةو كانت رغبته قوية في تحرير سبتة فما كاد ينهي اقرار الحامية المغربية بأصيلا حتى أرسل قوات نظامية لمحاصر سبتة، وعبأ قوات من القبائل المجاورة، إلى أن القادة الذين كلفهم السلطان إسماعيل بفتح سبتة، لم يبذلوا جهدهم في فتحها و تحقيق الوسائل الكفيلة بذلك، وكان السلطان منشغلا بمواجهة ثورة سوسة و أحداث أخرى لم تمكنه من السهر على فتح سبتة بنفسه[3]،و كان الإسبان قد تحصنوا فيها و أداروا حولها الأسوار والخنادق، وتولى مثل هذه المهام العسكرية المجاهدون من أهل الريف وقدامى رجال الزوايا المجاهدين، و قد بلغ عددهم في حصار سبتة خمسة وعشرين ألف، ولكن الإسبان قد بذلوا أقصى قوتهم في التحصين بسبتة[4].

[1]-محمد الصغير الإفراني ، نزهة الحادي ، المصدر السابق ، ص ص:432-433.
[2]- أبو العباس بن أحمد خالد الناصري ، المصدر السابق، ج7، ص: 77.
[3]- إبراهيم حركات، المرجع السابق ، ج3، ص ص: 49-50.
[4]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ج3، ص:249.

هذا يعود عجز المغرب عن استرداد الثغور الشمالية التي احتلها الإسبان، إلى استعانة هؤلاء بالأسطول البحري خصوصا و أن اسبانيا كانت أقوى الدول البحرية في العالم، كما أن مراكز الإمداد من اسبانيا قريبة و هو ممكنها من التفوق، و الإبقاء علي سبتة تحت نفوذهم[1].

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق ، ج3، ص:52.

المبحث الثاني السياسة الإدارية و الاقتصادية:

1-الإدارة :

إن المؤسسات الإدارية في المغرب لم تتغيرو كانت الأجهزة السياسية و الإدارية الحاكمة تستمد تقاليدها الأساسية من الأنظمة الملكية السابقة بالمغرب و التي ترتبط إلى حد بالتقاليد نظام الملكية المعروفة في العصر الوسيط[1].

من خلال دراستنا وبحثنا و حسب ما ورد في صاحب كتاب المغرب العربي الكبير في العصور الحديثة لشوق عطاء الله الجمل،. أن المولى إسماعيل بعد أن استقر له الأمر اهتم بإقرار الأمر الداخلي بالإضافة إلى تأمين الحدود المغربية و تطهير الشواطئ و الثغور المغربية من المستعمرات الأجنبية[2]؛ فنجد أن السياسة الإدارية لم تتغير عن ما سبقها من الملوك والدول منذ عهد الوطاسي و السعدي إلا أن نجد من خلال دراستنا هذه المتعلقة بالمغرب في عهد المولى إسماعيل، أن هذا الملك حاول بناء سلطتني هامتين لتثبيت قوته و سياسته الداخلية :

أ-أولا السلطة المركزية:

لقد اعتمد المولى إسماعيل على نظام مركزي قوي، وهذا خوفا من الخيانة أو التمرد عليه فإن اليقظة و الحزم الذي طبقه السلطان كان يمس حتى المقربين منه، فقد ذكر صاحب كتاب نشر المثاني لأهل القرن الحادي الحادي عشر و ثاني لمحمد بن الطيب القادري انه قتل الوزير و أصحابه بالرصاص،و أتى بهم على البغال فجر بمكناس و فاس ثم ألقى على مزبلة قد كان على سلا ومكناسو كان يكلف تجار فاس بنفقة أسر ى النصار و يطعمونهم فانتقم منهم[3].

---

[1]- بوتابوت عتيقة، الدولة الإسماعيليةو المجتمع 1672م/1727م مقاربة تاريخية اجتماعية ،رسالة لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،جامعة وهران ،2016،ص :10.

[2]- شوقي عطاء الله الجمل، المرجع السابق، ص : 216.

[3] -محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني، المصدر السابق، ص: 265.

فنجد ترتيب الإدارة المركزية في المولى إسماعيل التي سوف نشرحها في هذا الرسم التخطيطي :

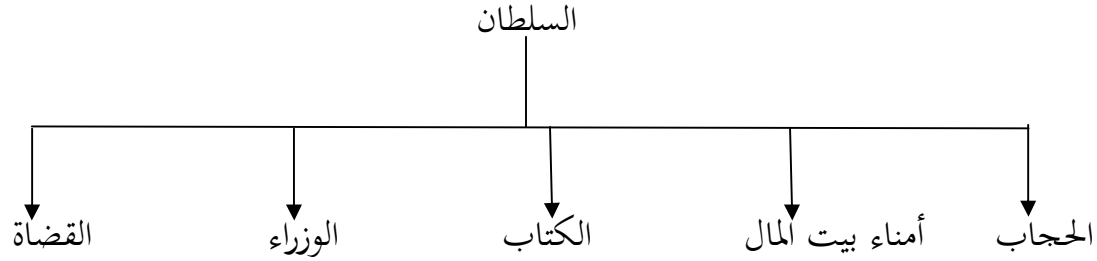

*عبد الكريم بن موسى الريفي ، زهرة الأكم ، ص49.

كما يؤكد أيضا أبو القاسم الزياني في البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف على أن المولى إسماعيل أمر يقتل من وجده خارج المحلة،و أمر يجر الوزير عبد الرحمن المثراري، وقتل أصحابه بالرصاص ثم أمر الوزير أن يجر بمكناس وفاس، وقتل السلطان في تلك الواقعة من المحلة نحو الثلاثمائة من تابعيه[1].

فنستنتج أنه كان شديد الحرص و المراقبة ولا يرحم من يخالف أوامره حتى و لو كان من وزرائه.

أما مكونات نظام الإدارة المركزية في عهد المولى إسماعيل فقد حافظت على الأجهزة القديمة التي كونتها مسايرة الشريعة الإسلامية.

- **مكونات الإدارة:**

1-السلطان: شـــخصية الحاكـــم تقوم بأهم دور في هذا الجهاز فهو مصدرالسلطان كلها[2]، وكان السلطان إسماعيل هو المسير لكل شيء داخل القصر و خارجه و هو صاحب الرأي و التنفيذ في جميع الشؤون[3].

2-**الوزراء:** هم أعوان يساعدون السلطان على تسير دواليـــب الحـــكم، و يـــقومون بتحرير لظهائر السلطانية و تسليم العطاءات العقارية، وتنفيذ التعيينات في الوظائف المختلفة، مثـــل وزير الشاكيات، وزير البحر ووزراء يقومو ن بالسلك الدبلومـــاسي[4].

[1]- أبو القاسم الزياني، البستان الظريف ، المصدر السابق ، ص: 163.

[2]- بوتابوت عتيقة ، المرجع السابق ، ص: 11.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة ، ج1، د ط، المطبعة الملكية ، الرباط، 1961، ص:271.

[4]- عبد العزيز بن عبد الله ، المرجع السابق ، ص ص:73-74.

3-الكُتاب:يتولى هذه الوظيفة رئيس الكتاب، يجلس عن يمينه وشماله كاتبان فالذي يجلس على اليمين يتلقى كتابة كل ما يهم الشؤون الخارجية للبلاد و الذي يجلس على الشمال يقوم بكتابة كل ما يملى عليه من الأمور الداخلية وشؤون الرعية[1].

في عهد المولى إسماعيل كانت بعض الرسائل التي يحررها لايفضى بسرها إلى رئيس ولا كاتب، ويعهد بكتابتها إلى نساء القصر التي كانت من بينهم من تحسن القراءة و الكتابة، وقد كانت زوجته السيدة خناتة بنت بكار(انظر الملحق رقم6)، كان يعهد إليها بالكتابة، فيما اقتضى الحال وحدث سر من الأسرار[2].

4-الحاجب: يتولى الحاجبتبليغ أوامر الملك إلى الوزراء و كبار الموظفين، و يدخل إلى جانب الإشراف على الخدمات داخل القصر[3].

حيث يجب أن تتوفر فيه خصائص شتى كالشجاعة و القوة و الاستماتة في حب الملك، و التناهي في إخلاص الطاعة و النزاهة و الاستقامة و الديانة و السهر علي القيام بشوؤن السلطان الداخلية الخاصة و شؤون الأسرة الملكية في كل البلاد لا يتدخل فيها سواه، وهي موكلة إليه يحكم التقاليد المتبعة منذ القديم، وهو يتحمل مسؤولية عظمى في ملازمة عتابات القصر طيلة النهار إلى أن يحل الظلام ، لا يغيب لحظة إلى الطعام أو نوم[4].

لقد كان في عهد المولى إسماعيل الحاجب مكلف بالأمن على الخزائن المملوكية وبيوت الأموال لما يعمله فيه من الحزم و الضبط و اليقظة و النباهة و الصدق و الأمانة ،منهم حاجبه علال بن محمد بن مامي حسبما أفصح لهم إسماعيل اسمه[5].

5-أمين الأمناء: هو المهتم بالسياسة المالية للدولة بصفة عامة، من الـنظر في المـكوس والديوان و الأكريةو الأراضي المخزنية و يعينأمناء كل حسب مهمته فأحدهما للداخـل و الثاني

---

[1]- بوتابوت عتيقة ،المرجع السابق،ص:16.

[2]- عبد الرحمن بن زيدان، العز والصولة، المصدر السابق، ص: 272.

[3]- مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في المغرب القرن التاسع عشر، ط1، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية بالرباط ، مطبعة فضالة، المحمدية ، 1995، ص: 39.

[4]- عبد الرحمن بن زيدان، المصدر السابق ، ص: 274.

[5]- عبد الرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر السابق، ص:262.

للشكارة و الثالث للحساب[1]؛ و قد كانت وظيفة عالية تأخذ من المخزن الشريف أهمية عظمى، حيث لا يرأسها إلا المقتدر الكفؤ وإن كان لا يحمل اسم وزير فهو في الحقيقة يتحمل عبئ الوزير المالي ذو النفوذ الواسع و التصرف الخطير، فأمـــوال الدولة تحت يديــه، و تعين مختلف الأمناء في سائر الجهات رهن إشارته بعد موافقة السلطان[2].

في عهــد المولى إسماعيل كان هذا لمنصب مدرجضمن الإدارة و كان من أمناءه الهواري و البلشا محمد بن الأشقر وابن القاضي و غيرهم[3]، وكل من بينهما أيضا أمين المحتسب و هو يتولى الإشراف على كل أموال المخزن[4]، و قد كان منهم ايضا الفقيه أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفلايلي المتوفي في الثامن عشر من جمادي الأول عام ستة وتسعين و ألف[5].

حسب ما ورد في المنزع اللطيف في رسالة بعثها أمير سلا يعين فيها أمين أمناء وذكر فيها :(**أمن خديمه و ربي نعمة الحاج محمد ابن إبراهيم على واجب بيت مال المسلمين إلى نظره من مستفاد المرسيين مرسى سلا و مرسى آسفي**)[6].

6-القضاء :و هو الفصل في الأمر قولا كان أو فعلا، ويكون بالعلم والفقه و القضاء بالعدل وهو مصدر حكم يحكم[7]، و قد عرف شأنا عظيما عند العلويين لما علموا أن منصب القضاء أعلى المناصب، و أعظم الولايات بعد الإمامة العظمى، وعملوا على التحري التام في تقديم من يصلح لمنصب القضاء، وقد كان قاضي الجماعة بمكناس الزيتون يرى في جميع الأحكام الشرعية للبلاد[8]، فهو بمثابة وزير العدل في وقتنا الحالي.

---

[1]- الحسن السائح ، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر و التوزيع، شارع فيكتور هيكو، الدار البيضاء، 1986، ص: 422.

[2]- عبد الرحمن بن زيدان، العز والصولة، ج1، المصدر السابق ، ص: 273.

[3]- عبد الرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر السابق، ص: 261.

[4] - بوتابوت عتيقة، المرجع السابق، ص: 15.

[5]- عبد الرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر نفسه ، ص: 267.

[6]- نفسه، ص:257.

[7]- عبد الرحمن إبراهيم عبد العزيز الميضي، القضاء و نظامه في الكتاب والسنة ، ط1، معهد البحوث العلمية و إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1989، ص: 23.

[8]- عبد الرحمن بن زيدان، العز و الصولة، المصدر نفسه، ص: 9-20.

اما عهد المولى إسماعيل فعرف العديد من القضاة كان أبو مهدي عيسى بن علي ابن أحمد بن علي الشريف العلمي قاضي شفشاون، المتوفي سنة تسع وثمانين و الف هجري، وكذلك أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي و أبو عبد الله محمد فتح بن القاضي المسمى لحاج قاسم زنبير كان قاضيا على سلا وخطيب بها، و دام في القضاء إلى أن توفي عام 1133هـ[1].

اما مكناس كان بها أبا عبد الله محمد المعروف بأبي مدين، حيث استشاره المولى إسماعيل في أمر الأسرى النصارى الذين استسلموا أثناء فتح العرائش[2]، وكان أبو مروان عبد المالك بن محمد قاضي سجلماسة توفي عام 1706م[3]؛ و يرتبط بنظام القضاء من يعمل بجانبه القاضي: نائب القاضي، ومفتي

-نائب القاضي: هو من ينوب عنه.

-المفتي: هو الذي يخبر بحكم شرعي، من غير إلزام و عبارة غير إلزام قد تميز المفتي عن القاضي، إذ ليس للمفتي أن يلزم المستفتي بالحكم الشرعي الذي أخبره به في حين يكون حكم القاضي على وجه الإلزام[4]. كان الإفتاء في دولة المـــولى إسماعيل من أسمى الوظائـف و أعزها لا يرخص فيه إلا لمن علمت مروءته و مكانته الدينية[5]، مثلما كان أبو عبد الله محمد مفتيا وقاضيا في نفس الوقت[6].

[1]-عبد الرحمن بن زيدان، المنزع اللطيف، المصدر السابق، ص ص:221-222 .

[2]- أبو العباس بن خالد الناصري، الاستقصاء، ج7، ص: 74.

[3]- محمد حجي، الزاوية الدلائية و دورها الديني والعلمي و السياسي، نقلا عن هامش 25، د ط، ، المطبعة الوطنية ، الرباط، 1964، ص:176.

[4]- لحسن اليوبي، المرجع السابق، ص:94.

[5]- عبد الرحمان بن زيدان، العز والصولة، المصدر السابق ، ج2، ص:55.

[6]- أبو العباس بن خالد الناصري، نفسه، ص: 74.

قد تعددت المناصب التي شغلتها هذه الإدارة المركزية حيث أننا نجد صاحب كتاب زهرة الأكم صنفها في الجدول الآتي :

الوزراء	الحاجب	أمناء بيت المال	القضاة	الكتاب
	المولى إسماعيل			
الهواري مولاي امحمد ملوك يحي المريني عبد الرحمن الفيلالي أحمد اليحمدي	مولاي أبو الخير ثم مرجان الصغير بعلال	محمد الخطيب ثم مرجان الصغير بعلال وعنبر	فاس: المجاطي مراكش : ابو علي السوسي تطوان: بن قريش	أحمد اليحمدي عبد الواحد الكاتب عبد الحق الهواري عمر الحراق الشرقي الاسحاقي حمو الوزير أبو عنان الجزولي سليمان القارتي مولايأ زيان المريني محمد أحجام محمد أعراص

أنظر :زهرة الأكم لعبد الكريم بن موسى الريفي ص:49.

حيث أننا نجد انه لم يكن تغير في المناصب بشكل كبير وهذا لطول الفترة التي شغلها في مناصبهم إلاالكتاب فقد كانوا كثيرين نظرا لمنصبه الحساس ، وكل من هم في الجدول كان محطة ثقة كبيرة لدى السلطان ومؤيدون له في كل القرارات.

ب–ثانيا الإدارة المحلية :

الإدارة المحلية و التي كانت في شكل نظام المدن والأقاليم خارج العاصمة، ولذلك فإننا نجدها مكونة بشكل مستمد من الإدارة المركزية ومن هنا كان النظام الإداري في وحدته الهيكلية، يترتب من عمال ورؤساء القبائل وقواد المناطق و كان يقع توليتهم بعد استشارة الأعيان وأفراد القبيلة[1]، وقد قسمناه إلى قسمين :

أ– **الحاكم العام للمدينة والإقليم**: و هو الممثل الأول للسلطان في المنطقة التي كان يحكمها وهو عادة أحد أمراء الأسرة المالكة[2]، و قد كان فيها أيضا ولاة المدن الذي يتولى التنسيق بين القواد و الإشراف على الأمن، فحين يعين الباشا على المدن الكبرى و هو بهذا المنصب يكون تابعا للعامل فمثلا إذا عيُن بالرباط عامل فإنه يُعين باشا بسلا و هكذا[3].

وقد عرف عهد المولى إسماعيل توزيع إداري الذي كان على أبنائه كالآتي:

– مولاي أحمد الذهبي بتادلة مقره قصبة تادلة و معه ثلاثة ألاف من الجيش.

– مولاي عبد الملك بمنطقة درعة معه ألف فارس.

– محمد العالم بسوس وإقليم الملحق بها شرقا وجنوبا مع ثلاثة ألاف فارس.

– مولاي المأمون الكبير بتافيلالت و معه خمسمائة فارس ثم عين بعده مولاي يوسف ابن إسماعيل لوفاة المأمون بعد سنتين من ولايته.

– مولاي زيدان بالمناطق الشرقية ولكن بسبب خرقه لمعاهدة الصلح بين المولى إسماعيل و ولاة الجزائر تم عزله و عين مكانه المولى حفيظ.[4].

ما نلاحظه من هذا التقسيم أنه كان موسعا من حيث الإطار الجغرافي.

ب –القواد: و هم الذين يحكمون مناطق صغيرة من المنشآت أو حكام المدن الصغيرة، كقواد فاس من أمثال عبد الله الروسي الذي كان في عهد المولى إسماعيل ، و أيضا القائد الوقاس

---

[1]– عبد الرحمان بن زيدان، المصدر السابق، ص:3.

[2]– عقبي فاطمة، العلاقات الجزائرية المغربية فيما بين سنتي 1631– 1727م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ وحضارة دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط،جامعة وهران ،2016، ص: 51.

[3]– بوتابوت عتيقة ، المرجع السابق ، ص:18.

[4]– عقبي فاطمة، المرجع نفسه، ص: 51.

الذي كان حاكما على تطوان[1]، وقد يكون القائد لنفس المنطقة التي يكون مسؤولا عنها و هذا لتسهيل مهمته بحكم معرفته لهذه الأماكن، و كان أيضا هناك القائد العياشي الزراري و غيره من القواد[2]، أما عن قواد روسهم الذين كانوا يشكلون وحدة خاصة ولا يعينون في مناطق ما وإنما كانوا رهن إشارة السلطان إسماعيل بمكناس ينقلون أوامره إلى الجيش و يتجسسون على تحر كاته[3].

2-السياسة الاقتصادية :

رغم الاضطرابات الاقتصادية التي شهدها المغرب، إلا أنه عرف في أيام السلطان إسماعيل و رخاء نمو اقتصاديا، واتساعا في العمران، و السبب في ذلك هو ما اتخذه هذا الملك من تدابير سياسية واجتماعية ،و كان لها أثرا على الحياة الاقتصادية[4]،و هذا راجع إلى التدابير التالية :

أ – السياسة الجبائية :

إن مصاريف الدولة كانت كبيرة جداً ففضلاً عن اعتبارات اجتماعية أخرى كتمرد بعض القبائل على السلطة، كانت عملية جباية الضرائب قاسية جداً لا شك أن سياسة العظمة والمبادلات العسكرية والمعمارية التي اتخذها السلطان وكذلك التحولات المستمرة عبر المجال المغربي الذي ظل يشمل توات و بلاد شنقيط ،قد تطلبت كلها مواد مالية هائلة، و قد أكد هذه الوضعية الزياني بقوله :(**و صار أهل المغرب كفلاحي أهل مصر يخدمون و يدفعون في كل جمعة من نتج فرسا، إذ أدرك الركب يدفعه للعاهل و يدفع قيمة السرج من عنده عشرة مثاقيل**)[5]؛ بسبب ثقل الجباية و طرق استخلاصها، ولما كانت هذه الموارد غير كافي، فإن السلطان قد عمد إلى السيطرة على جزء وافر يتجاوز ثلثي من منتوج القرصنة البحرية[6].

---

[1]- عبد الكريم بن موسى الريفي ، زهرة الأكم، تح: آسيا بنعدادة، د ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ، 1992، ص:47.

[2]- بوتابوت عتيقة، المرجع السابق ، ص: 19.

[3]- عبد الكريم بن موسى الريفي، المرجع نفسه ، ص: 48.

[4]- عبد الكبير العلوي المدغري، الفقيه ابو على اليوسي ،(نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية) ،دط،مطبعة فضالة ، المحمدية المغرب ، 1989، ص:53.

[5]-ابو القاسم الزياني ، البستان الظريف ،المصدر السابق ،ص :185.

[6]- محمد القبلي ، المرجع السابق، ص:421.

ب–السياسة الخارجية المتفتحة : وذلك أن المعاهدات التي أبرمها المولى إسماعيل مع الدول الأجنبية، و الضمانات والتشجيعات التي كانت تمنح للتجار الأجانب، أدت إلى تصاعدهم في حجم المبادلاتالتجارية بين المغرب والخارج، و كمثال على ذلك نذكر المعاهدة الانجليزية المغربية سنة 1727م، كما أن الحوار الذي كان مفتوحا ومستمرا بين السلطان إسماعيل ولويس الرابع عشر، أدى إلى إعطاء التجار الفرنسيين امتيازات و ضمانات قوية، شجعتهم على التعامل مع المغرب، و تزويدهم بما يحتاجه من البضائع الطبيعية و الصناعية، و قد منح السلطان إسماعيل إلى القنصل الفرنسي بمدينة سلا كلالضمانات لجميع التجار الفر نسيين لممارسة تجارتهم مع المغرب، وحرية إخراج كل البضائع بما في ذلك الجلود وكذلك موافقتهم على شراء العبيد، و هكذا تنوعت وتعدد واردات المغرب وصادراته بشكل يضمن حاجيات السوق الداخلية وينعش الحياة التجارية و الاقتصادية للبلاد، فيما يخص الواردات مثلا كان المغرب يتلقى الحرير والقطن من الشرق والكبريت من ايطاليا و الصباغ بأنواعها من اسبانيا[1].

كانت فرنسا تزوده بالمنتجات الصوفية والقلانس الحمراء من مرسيليا، ومعلوم أن هذا النشاط التجاري من شأنه أن يعود على خزينة الدولة بمداخيل مهمة، ولا سيما إذا علمنا أن الضرائب كانت مرتفعة فبلغت بالنسبة للواردات 10٪ وبالنسبة للصادرات 20٪.

ب–الأمن و الاستقرار: إن جهد السلطان إسماعيل في هذا الميدان يستحق كـــل التقدير والتنويه، فقد جعل حدا للصوص وقطاع الطرق، ونشر قادته وأعوانه في كل المناطق المغربية حاضرة وبادية، مما سهل على الناس الاحتكام في منازعاتهم، وانتشر الأمن وساد العدل نسبيا، فاطمأن الناس على أرزاقهم، مما أدى إلى الأسواق عمارتهاوالتجار و حركتها[2].

ج – التوسع في العمران : لقد أكثر السلطان إسماعيل من البناء، حتى قال الناس إن له أعوان من الجن تساعده، يقول المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان عن المولى إسماعيل: (**كان رحمه الله إذا فتح بلادا من البلدان، أو قرية من القرى، سواء كانت بعيدة أو قريبة أعظم شيء يقدمه هو بناء، رابط يحتوي على عدة دور و دكاكين للتجار، ومعامل للحرف والصناعة،**

[1] – عبد الكريم العلوي المدغوي ، المصدر السابق، ص:53.

[2] – نفسه ، ص : 54.

وبيوت للخزن المؤن و السلاح والبارود، وكان المسافر إذا مر ببلدة وهي خالية من العمران، فعند رجوعه يجدها مملوءة بالتجار والحرف و المساجد والمدارس، فيشك أنه ظل الطريق)[1] .

د–تنشيط التبادل التجاري بالمغرب : إن الحديث عن التجارة المغربية يؤدي بنا إلى معالجة العلاقات مع الخارج، من أجل تطوير التجارة سواء من الصحراوية أو البرية، من ارتباط البلدان المجاورة وقد ظهرت اهتمامات العلويين بموارد التجارة الصحراوية، منذ عهد المولى الرشيد و استمرت حتى السلطان إسماعيل، الذي صرف نظره إلى شد أراضي شنقيط إلى بقية البلاد، معتمدا في ذلك على دعم قبائل بني معقل و الزاوية القادرية، في حين استعادت الطرق الشرقية الفاصلة بين الصحراء وأراضي ولاة الجزائر كامل انتعاشها، فحولت منافع التجارة الصحراوية نحو المدن المجاورة[2].

هـ–النشاط التجاري البحري :مثلت مدينة تطوان دور وسيط تجاري بين المغرب وأوربا، و كذلك بينه الشرق الأدنى، دون أن نغفل دورها أيضا في العلاقات بين إفريقيا جنوب الصحراء و العالم المتوسطي، حيث أنها شكلت المنفذ الوحيد للمغرب الشمالي و قيام الحركة التجارية مع العوامل المذكورة[3].

فالتجارة البحرية مع البلدان الأوربية قد استعادة نشاطها خلال العهد الإسماعيلي بعد أن تدهورت إبان فترةتلاشت وسيادة القرصنة، و كانت تطوان و سلا من أنشط الموانئ تشتغل فيها دور التجارة الفرنسية، الإنجليزية و الهولندية، ويلعب فيها اليهود دور الوساطة، و إذا كانت البضائع المستوردة في معظمها على مواد مصنع من منسوجات ومواد معدنية بالخصوص، فإن الصادرات كانت من لمواد الخام مثل الشمع والصوف و النحاس و المواد الفلاحية مثل التمر و اللوز[4].

---

[1]– عبد الكبير العلوي المدغري،المرجع السابق، ص : 55.

[2]– محمد القبلي ، المرجع السابق ، ص : 421 .

[3]– عبد العزيز السعود، تطوان في القرن الثامن عشر(السلطة ، المجتمع، الدين)، القسم الثاني ، ط1، مطبعة الخليج العربي،152شارع الحسن الثاني، تطوان ، 2007، ص: 194.

[4]– محمد القبلي، المرجع نفسه، ص:422.

فاهتم السلطان إسماعيل اهتماما كبيرا بتجارة، لأنها كانت تؤمن له رسوما منتظمة 10% على الواردات، 25 % على بعض الصادرات المطلوبة بكثرة ،.و بهذه الوسائل زادة واردات كل من سلا و تطوان بعشرة أضعاف.و كان هذان الميناءان من أنشط موانئ المغرب، كما منح السلطان إسماعيل امتيازات تجارية و ملاحية واسعة لفرنسا، مقابل حصوله على مساعدتها ضد عدو تيه إسبانيا و إنجلترا مستغلا العلاقات العدائية بينهما، ففي سنة 1681م عقدة اتفاقية مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا،كانت تخـــص الجـــهاد البحري و أمور القرصنة،و هذا يدل على رغبة السلطان إسماعيل في توثيق روابطه مع فرنسا[1].

و– أهمية الموانئ في مداخيل السلطان إسماعيل و توسيع ثروة البلاد : إن النشاط البحري بين مرسى تطوان والموانئ الأوروبية و الشرقية ،كانت جارية بشكل كامل منذ العقود الأخيرة من القرن السابع عشر، سواء عن طريق التجارة المباشرة أو عبر المراسي و أساطيل البلدان الأخرى، و عند حديثنا عن تطور الاقتصاد البحري لتطوان في القرن الثامن عشر، نجد أمرين يجلبا الانتباه:

1- يتمثل في الدور الرئيس الذي لعبته تطوان في المبادلات التجارية و خاصة في الفترة التي تزامنت مع الجهود الضخمة التي بذلها السلطان إسماعيل لاسترجاع الثغور المحتلة كالعمورة و طنجة والعرائش[2].

2- هو ارتقاء تطوان على منافسيها في الساحل الأطلنطي المغربي، و أخذها للمرتبة الثانية بعد سلا بل و أحيانا المرتبة الأولى في تصنيف المراسي المغربية، خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر وبهذا تكون كل من سلا و تطوان قد حضيت خلال عهد إسماعيل باستقبال واسع للمتوجات الأوربية و أصبحتا موردا اقتصاديا هاما للمغرب[3].

[1]- بوتابوت عتيقة ، المرجع السابق، ص: 32.

[2]- عبد العزيز السعود، المرجع السابق ، ص:195.

[3]- نفسه، ص:196.

3- المبحث الثالث:موقف السلطان إسماعيل من الزوايا .

إن الصرامة في وضع قواعد محددة والالتزام بتطبيقها كانت من المميزات الأساسية للنظام الإسماعيلي، وقد ذكرت بعض المصادر العنف والقسوة البالغة التي عامل بها السلطان إسماعيل كلمن خر ج عن طاعته، وتنفيذ أوامره،وقد رفع من شأن العنف إلى أن جعل منه أداة لترسيخ هيبة الدولة المتمثلة في شخصه، ولم يعتمد السلطان دائما على أسلوب الترهيب فقط، بل كان يلجأ أحيانا إلى الترغيب، ولا سيما في التعامل مع الزوايا التي كانت سمة الحذر هي السمة الطاغية على موقف السلطان منها بصفة عامة، والتي كانت إحدى قنواته لأحكام قبضة المخزن على المجتمع[1].

فالسلطان إسماعيل قد استخلص الدروس من فشل الأشراف السعديين، والضربات التي سددتها الحركة الطرقية والصوفية اتجاههم، ففهم أنه لن يتمكن من بناء دولة ثابتة دون أن يقضي على نفوذ الطرق الصوفية و الزوايا،ويحد من إشعاعها وتأثيرها، فحاصر هذه الحركة، بأن فرض عليها أن تتخذ فاس مركزا لها، وبذلك طوقت الحركة الصوفية وحوصرت في إطارها الديني، أما مهام الجهاد فقد أوكلت إلى الجيش الجديد، وفقدت الحركة الدينية بذلك مشروعيتها طالما تغذت بها، وأجبرت على الالتزام ببيعة السلطان إسماعيل[2].

استمر السلطان إسماعيل في سياسة المولى الرشيد، الرامية إخضاع معظمها، ولا سيما بعد انتفاضة أحمد الدلائي[3]، حيث رأى السلطان إسماعيل أن مواجهته لا تنفع معه الكتائب والسرايا، فأخذ يستعد لمنازلة خصمه العنيد بنفسه، وأرسل إلى جميع الأقاليم يطلب المساعدة

[1]- محمد القبلي ، المرجع السابق، ص:419.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق ، ص:30.

[3]- محمد القبلي، المرجع نفسه ، ص:419.

بالجند والسلاح، وخرج الرماة من فاس وغيرها بعد أن استعدوا استعداد كبيرا والتحقوا بالسلطان في مراكش ،ودام تجهيز هذه الحملة العظيمة حوالي ستة أشهر[1].

ثم زحف السلطان إسماعيل إلي مواجهته في5صفر 1089هـ/30مارس1678م، ولم يكد يقطع وادي العبيد حتى وجد جيش أحمد الدلائي في انتظاره ،فكانت الحرب بينهما قوية، وأظهر كل فريق قوته، ووقعت حرب بين الفريقين لم يسمع بمثلها في المغرب، وانتصر السلطان إسماعيل، بعد أن سقط في ميدان القتال عدد كبير من الجانبين، وكان يوما مشهودا أطلقت فيه المدافع ،وزينت الأسواق وفرخ الناس بانتهاء هذه الفتنة، أما أحمد الدلائي فإنه التجأ إلى إحدى جبال الأطلس، وبقى هناك إلى أن توفي في 21 محرم 1091هـ/1680م، وتضاربت الروايات في سبب موته، فيزعم البعض أنه أصيب بالوباء الذي كان منتشرا في تلك الأيام، بينما قال آخرون أنه اغتيل بأمر من السلطان إسماعيل، ودس له السم من طرف أعيان تلك المنطقة[2].

من خلال ما سبق نجد أن السياسة الإسماعيلية اتجاه الزوايا قد سارت في اتجاهين : الزوايا المعارضة والزوايا المساندة لسلطته :

1-الزوايا المعارضة لسلطته :

لقد عمل السلطان إسماعيل إلى القضاء على الزو ايا التي يظهر منها بعض المعارضة، أو الراغبة في الانسلاخ عن السلطة المركزية، منها الزوايا الدلائية التي سبق ذكرها والانتفاضة بين أحمد الدلائي والسلطان إسماعيل[3]، والزاوية الحنصالية والتي ذكر في بعض الوثائق أنها دخلت في مفاوضات حقيقة مع السلطة المركزية، وبالفعل فقد حاول السلطان إسماعيل إقناع الحنصالين الذين قاموا بزيارته، بأن النجاح لا يحالف إلا الزوايا التي تدخل في خدمة المخزن، الشيء الذي

[1]- محمد حجي ، الزاوية الدلائية ، المرجع السابق، ص:262.

[2]- نفسه، ص: 263.

[3]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص:420.

يدل على أن العلاقات بين الطرفين لم تكن على الوجه الأحسن ، وتبدو هذه الفرضية محتملة جدا خاصة وأن السلطان أعرب عن ابتهاجه من الاستعدادات الحسنة التي سمعها من مخاطبيه، وعلى الأقل فأن هذا يدل على أن هؤلاء لم يكونوا يتمتعون دائما بشهرة طيبة وسط حاشية السلطان[1].

2-الزوايا المساندة لسلطته:

رغم الحذر والتشدد اتجاه الزوايا، إلا أننا نجد السلطان إسماعيل قد ساعد في نشأة وتطور مجموعة من الزوايا المساندة لسلطته، واستخدمها في ترسيخ نفوذ الدولة، ومنها الزاويتان الناصرية في الجنوب، والوزانية في الشمال، وهما من الزوايا الحديثة العهد بالتأسيس، وقد أصبحت الزاوية الوزانية منذئذ الحليف المستمر للدولة .

هذا مما يدل على أن الزاوية الناصرية كانت تحظى لدى السلطان ببعض التميز هو سماحه لشيخ هذه الزاوية بإصدار الظهائر في حدود نفوذ الزاوية، شريطة أن تختلف ظهائره عن مثيلتها السلطانية، بوضع الطابع في أعلى الصفحة، على يمين الظهر بدلا من وسطه، كما نجد أيضا شيوخ الزاوية الفاسية الكبار أمثال عبد القادر الفاسي وابنه محمد، من الحلفاء الأوفياء للسلطان إسماعيل بحيث كان يستفتيهم في مهمات الأمور فيفتون مثلا بصحة نسبه الشريف و سمو النسب السجلماسي، إلى جانب النسب الإدريسي على أنساب بقية الشرفاء، ويزكون إجراءاته المتعلقة بمسألة تجنيد عبيد البخاري، وبصفة عامةفإنهم كانوا يقومون بدور الوساطة بين السلطان وبين الحاضرة الإدريسية التي كانت تميل إلى الاحتجاج[2].

[1]- مجلة دار النيابة ، العدد 5، ص:50.

[2]- محمد القبلي، المرجع السابق، ص:420.

بذلك يكون السلطان إسماعيل في فترة حكمه، قد تمكن من إيجاد حل لمشكل أخر عانى منه المغرب كثيرا في القرن الماضي وهو مشكل الزوايا، إذ أنه أضعف من نفوذها السياسي وسد كل المنافذ أمام احتمال عودة ظهورها على مسرح الأحداث[1].

من هنا يجب القول أن النفوذ الروحي المتنامي للزوايا والمستقل بذاته أقلق –ولاشك– راحة المولى إسماعيل ليس فقط، لأن كرامته يلزمها أن تكون فوق كل الكرامات،بل كذلك أن كل الكرامات التي يتمتع بها أصحاب الزوايا يلزمها أن تظهر للخاصة والعامة، ولأصحاب الزوايا أنفسهم بأنها مستمدة من كرماته وإنعاماته[2].

إن السلطان إسماعيل لم يحاول اقتلاع مؤسسة الزاوية من جذورها، من خلال ضرب عوامل ارتكازها من خلال أركان الشرعية وشروط البقاء المادي، بل حاول فقط انتهاج إستراتجية غايتها أن تؤدي على المدى البعيد إلى ضرب الشروط المادية لتواجد الزاوية ، دون المساس بشرعية هذا التواجد، أو تؤدي إلى محو الزاوية[3]، فالسلطان إسماعيل قد استعمل سياسة التوازن السياسي اتجاه الزوايا، ذلك أنه لم يقض عليها كما لم يترك لها حرية التصرف التام، بل قلل أعمالها وتحركاتها،و استعمالها لصالح السلطة[4].

هكذا اتسمت السياسة الإسماعيلية اتجاه الزوايا بالكثير من البرغماتية، و هي السياسة نفسها التي مارسها السلطان اتجاه بقية مكونات المجتمع، من قبائل وطوائف وحواضر، ولم تكن

---

[1]- محمد الأمين البزاز، المرجع السابق، ص:19.

[2]-نفيسة الذهبي، الرباطات و الزوايا في تاريخ المغرب (دراسة تاريخية مهدا للأستاذ إبراهيم حركات)، ط1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، 1997، ص:135.

[3]- شطاح عافية ولودي زبيدة ، صراع المخزن مع الطرق الصوفية في المغرب الأقصى خلال عهد الدولة العلوية 1680-1912م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة تيارت، 2016،ص:79.

[4]- أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية، زاوية أبي الجعد دورها الاجتماعي والسياسي، ج2، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، 1989، ص:118.

هذه السياسة مسطرة منذ البداية بل كانت عبارة عن جملة من القواعد، منها ما هو مكتوب، ومنها ما هو متعارف عليه بالممارسة، وقد تم باكتمالها بالتدرج خلال العهد الإسماعيلي فأصبحت نموذجا لمعظم السلاطين العلويين اللاحقين[1].

[1]- شطاح عافية ولوردي زبيدة، المرجع السابق، ص:79.

المبحث الأول : العلاقات العثمانية المغربية (إيالة الجزائر):

من الصعب فهم الصراع بين العلاقات المغرب وإيالة الجزائر، دون النظر إلى جوهره أو الأسس التي ارتكز عليها، فهل كان للطرفين أطماع توسعية في أراضي الطرف الأخر،أم أنّ الأمر لا يعدّ أن يكون مجرد خلاف حول رسم الحدود؟[1].

لقد أورد عبد الكريم الريفي معلومات مفترقة عن هذا الصراع أحيانا تكونُ وجيزة وأُخرى مفصلة ومنها ما هو معروف ومنها ما انفرد به المؤلف عن المصادر المغربية التي تناولت هذا الصراع، ونُلاحظ من خلال كتاب زهرة الأكم أنّ هذه الصراعات و الحروب فيما بين الطرفين قد تكاثفت في عهد المولى إسماعيل خاصة ،ووصلت هجومات المغرب قلب الجزائر،إنّ الرغبة في تأمين الحدود ظلّت تراود العثمانيين منذ عهد محمد الشيخ السّعدي، إلاّ أنهم على ما يظهر لم يتوصلوا إلى اتفاق مع السّعديين على وضع واد تافنة كحد أساسي بين البلدين لذلك جدّدوا محولاتهم في العهد العلوي[2].

ظاهر الأمر أنّ غرض كل من أتراك الجزائر والسلاطين العلويين كان الرغبة في التوسع وكذالك محاولة افتكاك كل منهما جزء من الأخر، وضمان الاستقرار على جانبيهما حتى إذا صحّ الحديث عن وجود أطماع توسعية لدى الجانبين،فإنها كانت أطماعاً محدودةً لا تتجاوز البحث عن حدود آمنة خاصّة منطقة التماس بين البلدين، حيث تتميّز القبائل هناك بعدم الاستقرار الدّائم حال،وهي منطقة المدّ والجزر للسّلطة العثمانية و العلوية،والمحصورة بين تلمسان شرقاً وجبال بني يزناسن غرباً، وكانت قبائل المنطقة نفسها تستفيد من هذه الوضعية لتُسانِد حاكماً ضدّ الأخر تبعاً لتقلُّب ميزان القوة وضعف هذه السّلطة أو تلك، ولذلك نجد أنّ العديد من حركات المولى إسماعيل إلى شرق المغرب كانت تأديب قبائل بني يزناسن و بني عامر نظرا لمناصرتهم وشُايعتهم لأتراك الجزائر أكثر مما كان موجهاً ضد الأتراك أنفسهم[3].

---

[1]- مجلة دار النيابة، المرجع السابق، ص:28

[2]- عبد الكريم بن موسي الريفي، المصدر السابق، ص:66.

[3]- مجلة دار النيابة، نفسه، ص:28.

قد كان المولى إسماعيل وفيً ا للعهد الذي كتبه محمد بن الشريف منذ سنة 1653م، الذي و َعَّ َ من خلاله في ذلك العهد الاتفاق مع أتراكالجزائر على قِرار الحُ دود المغربية الجزائرية بِ اعتبار واد تافنةحكدٍ فاصل،ومنُذ هُ جوم الجيش المغربي سنة 1657م على تلمسانِستقرَّ ت الأوضاع بين الطرفين مع تجديد اتفاقالحدود أيَّام المولى الرشيد من نفسِالصِ يغة ولما كانت سُ لطة الأتراك بالجزائر لا تتجاوز المدنتُرك أمرها لِ زعماء القبائل، فقد توغل الجيش المغربي سنة 1679م بقيادة السلطان إسماعيل في الصحراء الجنوبية ووصل في الشمال حتى شلف و انظم إليه بنو عامر من التراب الجزائري[1].

بدأ الصدِام على الحدود الجزائرية المغربية التي لم تكن واضحة من خلال عمَ لياته التأديبّية ضد قبائل المغرب الشرقي، وأمام ضَعف المِدفعية التر كية تفرقتقبائل الجيش المغربي و لم يحُ اول الأتراك استثمارفُرصة النصر لم يكن لديهم الوسيلة لِ ذلك، لهذا كلتوَا السّ لطان إسماعيل مطُالبين بالكفِ عن التعرض لبلاد هم و التوقُف عند الحدود التي أقرَّ هاأسلافهُم مِ ن العلويينالسّ عديين، ولكنالأتراك لم يطَم َئنُ لهاسعَ َ وإلى تحريضِخ ُصومه واتفقُ معه مُ نافسه ابن محرز[2].

حيث انتهزوفُ رصةانشِ غال المولى إسماعيل بالاضطراباتالتي أثارها إخوتُ ه الثلاثةو ابن أخيه أحمد بن محرز، فهاجموا الحدود الشرقية للمغرب، لكن لم يستطيعوا الاستمرار في هجُومهم لتعر ُض مواقعهِم في الجزائر نفسَ ها لهجومات الدول البحرية الأجنبية[3]و كذلك تصدي الجيش المغربي لهمموُ طاردتهم حتى تلمسان بقيادة المولى إسماعيل واقلستغر َ قهُ دة تحركات السلطان هالمرة مُ دتهَّاُهز السّ نةبوَ قيت هذه التحركات المستمرة بين المغاربة و الأتراك على الحدود الجزائرية متواصلةً إلى غاية 1696محينم َا تَ دخلالخليفة العُ ثماني مصطفى بن محمد لإقرار الصُ لح من جديدبوَعث َ بِ وفد كبير لهذا الغرض إلى العاهل المغربي

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق ،ج 03 ، ص :52 .

[2]- محمد علي عامر ،محمد خير فارس ،المرجع السابق ،ص :94.

[3]-شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق ، ص : 219.

فاستجاب لذلك تم عقد الصلح على الأسس القديمة وادتافنة كحد بين البلدين وذلك سنة 1697م[1].

لكنَّهذا الصلح و الاتفاقلم يدم طويلاً فانتقَضالصلح سنة 1700م و قام السلطان إسماعيل بالزحف على الجزائر من الجهة الغربية للحدود الجزائرية التي ظلَّت دائماًموضع نزاع مع المغرب من العهد القديم لاحتماء أهلهاسباالطة المغربية وتعاطُفهم معها، لكن هجوم إسماعيل هذه المرة كلف جيشه خسائر بشرية كبيرة تعرض السلطان من خلالها إلى عدة جروح كادَت أن تُوقعه في قبضة الأتراك سنة 1701م[2].

لقد كانت علاقةالسلطان إسماعيل بالحكومة العثمانية سيئة لأنَّحاول في سنين حُكمه الأولالتوسُع شرقا وضم تلمسان إلى مراكش[3]مما أدخله في صراع مُتعدد مع الأتراك، و قد تخلل هذا الصراع تحركات السلطان للقضاء على أصناف الانتفاضات الداخلية، فتعددت بذلك حملاته و حملات ابنهالمولى زيدان عامل وجدةو الشرق اتجاه المناطق الشرقية،و أسفرت تلك الحملات على مواجهات عديدة، منهاُ واجهة الجديوية سنة 1701م، و توغل في بعضها إلى حدود نهر شلف في الجزائر إلى أنها لم تُفضي إلى نتائج محدودة بل أن بعضَها انتهى بهزيمة مريرة كما وقع الجديوية وحفاظا على الوضع القائم وتأكيداًلعلُهود السابقة اتخذ السلطان سلسلة من التدابير من جملتها تحصين المدن الموجودة على خط الحدود تحسباُلأي تدخل تركي محُتمل، ومنها مدينة وجدة، فاس و تازة[4].

بالإضافة إلى هنقيلُمَت سلسلة من الحصون على المسلك الرابط بين وجدة و فاس، ثم شحنها بالجنود والعتاد، و انتهىالأمر بمُحاصرة القبائل المتحالفة مع الأتراك، ثم بني يزناسن قصدمَنعهم من المرعى و تجريدهم من الأسلحةو الخيول،ظَلاً عن كل ما سبق فقد حاول

[1]- إبراهيم حركات ، نفسه، ج 3، ص : 53.

[2]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 54.

[3]- صلاح العقاد ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر ، تونس ، المغرب الأقصى)،ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية ،1993 ص :67.

[4]- محمد القبلي ،المرجع السابق ، ص : 408.

السلطان إسماعيل أن يحصل على دعم السلطان العثماني أو على الأقل ضمان حياده في مُواجهته مع أتراك الجزائر[1].

لكن رغم التزام كِلا الطرفين بالحياد و اتخاذ واد تافنة كحد فاصل بين البلدين،فانّ كل واحد منهم ظل ينظر بعين الحذر إلى الآخر، فكان المولى إسماعيل طِوال أيّامه في خوف على مملكته من الأتراك لأنه رغم تدهور دولتهم ؛كانوا إلى ذلك الحين حوتا عظيما يتَّسع فكاه لأي شيء، وقد اعتمد في حماية بلاده من توغل أتراك الجزائر فيها على المجاهدين لأنهم في الحقيقة كانوا أصلَبعُودًا و أعلم بالمطلوب من العبيد، لأنهم مغاربة وهذا وطنهم ولكي يقطع مطالب الأتراك كان إسماعيل أحيانا يدفع بالمجاهدين حتى يصلوا مصب نهر شلف ويحرض على القضاء علىدُعاة الفتنة الذين كانوا يتلقون العَون من الأتراك[2].

لقد كان كل طرف يرى فيالآخر خطرا كامنا يمكُن أن يهُدد استقرار سُلطته،وغالبا ما كانت التُهم تتبادل بشأن تحريض القبائل لإِثارة الفتنة بين رعايا هذا الطرف أو ذاكلما كانت قبائل الغرب الجزائري أكثر قابلية للإثارة و التحريض من طرف المخزن المغربي،وقد تُبادر هي تِلقائيا إلى الدخول تحت طاعته، و يرجع السبب في ذلك إلى الروابط التاريخية التي جعلت أهل تلمسان يتطلعون باستمرار للخلافة المغربية، وأخيرا هناك النسب الشريف للدولة الحاكمة بالمغرب هو ما جعل عددا منقبائل المنطقة،تُسارع منذ البداية إلى مُبايعة أُمراء وسلاطين الدولة العلوية، وقد وجد العثمانيون في الثغور المحتلة بالمغرب وسيلة لتحويل أنظار العلويين عن المناطق الشرقيةوقة ضغط يَلجِؤون بها في كل حين، وهكذا ظلوا يرددون باستمرار خِطاباتهم ضد السلاطينالعلويين و المتمثلة في :(**إذاكان غرضُكم في الجهاد فَابِطوا الكُفار الذين هم معكم في وسط بلادكم**)[3].

---

[1]- نفسه ، ص : 406,

[2]-حسين مؤنس، المرجع السابق ،ج 3، ص : 272.

[3]- مجلة دار النيابة،المرجع السابق، ص: 28.

فهذا الأسلوب الخطابي الذي كان يردده الأتراك كل مرة مع السلاطين العلويين كان من أجل هدف واحد وهو تخفيف الضغط العلوي على حدودهم المغربية[1].

فكل ما سبق ذكره يُثبت أنّ السلطان إسماعيل كان يوجد تحت ضغوط قوية من الطرف العثماني الذي كان يحثه على جهاد النصارى ويعده بالمساعدات العسكرية، بل ذهب أبعد من ذلك فأصبح ينيه بوصاية سياسية على ولاية الجزائر هذا ما أظهر أنّ العلاقات المغربية العثمانية وصلت في سنة 1683م إلى إنعطف يمثل تحولا جذريا في موقف كل طرف من الآخر، فبعد سنوات من الصراع و المواجهة اقتنع كل طرف بأنّه يستحيل عليه تحقيق مكاسب تُرابية على حساب جاره وربما تطمح للعثمانيين بأن هذه اللقة العلوية خلُقت لا تبقى و أنها بتوحيدها لبلادها و سحقها لمعظم التمردات[2]، تكون قد أثبتت أنها تختلف نوعا ما عن الكيانات التي عرفها المغرب منذ اندثار دولة الأشراف السعديين و أنها جديرة بأن تُعتبر الوريث الشرعي لهؤلاء، وان كان العثمانيين قد اقتنعوا بهذه الحقيقة فإنه بوسعنا أن نجزم بأن أحلام هؤلاء بالتوسع غربا تكون قد تبخرت إلى غير رجعة[3].

على العموم فإن العلاقة بين دايات الجزائر والعلويين اتسمت بالسلام وحُسن الجوار في أيام المولى إسماعيل الأخيرة فإنها لم تَزدفي أحسن الظروف على المجاملات و التهادي في المناسبات ولم تصل إلى التلاحم و التعاون ،و لكن مع كل هذا نجد أن المولى إسماعيل قد نجح في الإبقاء على العلاقة مع السلاطين العثمانيين بالرغم من كل ما شابه من خلافات بينه وبين دايات الجزائر في العديد من المرات،وفي نفس الوقت الحفاظ على استقلالية قراره وتُرابه وحده حتى توفي يوم 27 رجب 1139هـ /20مارس 1727م[4].

---

[1]- نفسه ، ص : 28.

[2]- مجلة دار النيابة ،المرجع السابق، ص :29.

[3]- نفسه ، ص :30.

[4]- دحام الحاج،العلاقات السياسية بين الجزائر و الدولة العلوية بالمغرب الأقصى(1650-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر ، جامعة تيارت ، 2016،ص : 111.

المبحث الثاني : علاقة المغرب ببلاد، الحجاز،مصر و السودان .

1- بلاد الحجاز:.

لم يكن غريبا أن نجد المولى إسماعيل يعزز علاقته مع أشراف الحجاز ، نظرا للصلات التي تربط بينهم خاصة أن كلاهما من الأشراف، فنجد أن محمد ابن الشريف كان منذ ظهور العلويين في المغرب يقوم بمراسلة أولائك الأشراف في الحجاز[1].

كما أن بلاد الحجاز تعتبر منطقة الحرمين الشريفين، و مكان مقدس، وقد سعى المولى إسماعيل إلى ربط جسر بينهم و بين المغرب، و يعزز علاقته بهم و حسب ما ورد في كتاب العز و الصولة، عن الرسالة التي بعثها المولى إسماعيل إلى الشريف سعد بن زيد ملك الحجاز ،حيث أن هذه الرسالة تظهر الصداقة التي تغمر الملكين[2].

تتلخص هذه الرسالة في النصح والإرشاد، و الاهتمام بالرعية، كما ركز فيها عن أهمية الخلافة في الإسلام؛ وهنا يشير إلى أنه جعل الخلافة في قريش و أصحاب النسب الشريف، وهذا ما نفهمه أنه لم يكن يعترف بخلافة الأتراك العثمانيين، و يضيف أيضا في رسالته إلى العدل و إقامة المساواة بين الناس، والنصح و الإرشاد، حيث كان في كل مرة يؤكد على فكرة :(**من أنعم الله عليه بولاية الحرمين الشريفين، واجب عل كل من يحبه أن يهنئه ويقدم له النصح**)[3].

---

[1]- عبد الهادي التازي ،الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مج: 3،ط1، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط، المغرب، 2001م، ص : 147.

[2]- عبد الرحمان بن زيدان، العز والصولة ، ج1، المصدر السابق ، ص : 279.

[3]- نفسه ، ص: 283.

2-مصر:

ليس من الضروري أن تؤدي بعض القواسم المشتركة بين البلدين إلى وجود علاقة بينهما، غير أن الموقف بالنسبة للمغرب و مصر يختلف نوعا ما ، فقد كانت هذه القواسم المشتركة بمثابة بعض القوائم التي تبحر فيها العلاقات بين البلدين ذهابا وإيابا.

ما يؤكد ذلك هو وجود جامع الأزهر في مصر وجامع القرويين في المغرب بفاس، مما أدى إلى علاقة خاصة بين المغرب الأقصى ومصر، تمثلت في ذلك التيارات من العلماء والأفكار، حيث استمر تبادل المؤسسات الإسلامية على مر العصور[1].

لقد عرفت العلاقات المصرية المغربية أيام المولى إسماعيل، علاقة جيدة حيث قام المولى بإرسال رسالة حول موضوع (المماليك)،الذيشتراهم العاهل المغربي لِ يُكوِن منهم الجيش المغربي، ووجههـــا المولى إسماعيل إلى علماء الأزهر الشريف في حدود سنة 1707م[2].

قد عرفت هذه العلاقات خاصة في المجال الثقافي، الذي شكل ركنا أساسيا من أركان العلاقات بين البلدين، و هذا باعتبار المكان الذي حضيت به مصر باعتبارها المركز الثقافي الأساسي في المشرق العربي، أما من الجانب المغربي وجود جامع القرويين الذي تمتع بمزايا قريبة من مزايا الأزهر، فقد كان من الطبيعي أن تسود علاقة بين الجامعين[3]،ما يميز مصر هو أنها كانت تحتضن العديد من الأسر المغربية المرموقة ،هذا نتيجة العلاقات الجيدة،.حتى أصبح الاقتصاد المصري في وقت من الأوقات بيد الأسر المغربية[4].

من خلال ما اطلعنا عليه يلاحظ في هذا البحث، أنها تعدد الرحلات التي قام بها المغاربة إلى مصر، و لكن لم يتم العثور بالمقابل على رحلات قام بها المصريون إلى المغرب، و يرجع ذلك إلى بعض الأسباب:

---

[1]- يونان لبيب رزق ومحمد مزين ، تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتي عام 1912، دط ، دار النشر المغربية الدار البيضاء ، 1982، ص ص :11- 101

[2]- عبد الهادي التازي ، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، المرجع السابق ، ص: 147.

[3]- يونان لبيب رزق ومحمد مزين، المرجع نفسه ، ص ص : 65- 101.

[4]- عبد الهادي التازي، المرجع نفسه ، ص : 147.

- لم يكن للمصريين نفس الدوافع التي أتيحت للمغاربة،كالحج، التجارة والظروف السياسية، تلك التي دفعت المغاربة إلى الذهاب للمشرق مرورا بمصر أو المكوث بها.
- بُعد ديار المغاربة عن بيت الحرام ، فكان قصدهم بلاد الحجاز مرورا بمصر.
- المجتمع المصري مجتمع زراعي، عكس المجتمع المغربي المعروف بالتجارة، مما أصبح التنقل جزء من تجارتهم[1].

3- بلاد السودان :

كانت العلاقة بين بلاد السودان الغربي والمغرب الأقصى، منذ قيام الدولة السعدية خاصة في فترة أحمد المنصور، و زاد نشاطها مع الدولة العلوية، حيث أن فترة حكم المولى إسماعيل الذي ركز على توطيد العلاقة معها، وهذا لأن المغرب كانت له فوائد، خاصة مع إنشاء جيش عبد البخاري المذكور سابقا فهذا الجيش كان أغلبه من بلاد السودان.

كما عرفت أيضا تجارة مزدهرة و تبادل للمنتجات، و حسب ما لاحظناه في كتاب تاريخ الدبلوماسي للمغرب، في التقرير عن تونبوكتو يتحدث القنصل الأمريكي عن حركة السلطان مولى الرشيد ملك المغرب سابقا، الذي قام بإنشاء شركة مغربية مكونة من تجار أهل فاس، كانت لهم معاملات بتمبوكتو[2]، وحسب هذا الكتاب أيضا، نجد أن فترة المولى إسماعيل الذي أرسل قواته إلى تمبوكتو واستقر جنوده بها، و في سنة 1689م بعث السلطان المولى إسماعيل رسالة يبشر بها وليه على تومبكتو باسترجاع العرش من يد الإسبان[3].

كانت التجارة السودانية تمر عن طريق إقليم توات المجاورة، وقد عرف هذا الخط التجاري نشاطا هاما في النصف الأول من القرن 17م، بسبب الاضطرابات التجارية المحيطة عن التنافس الأوروبي على الساحل الإفريقي، و قد لعبت سجلماسة دورا هاما في

---

[1]- يونان لبيب رزق ومحمد مزين ، المرجع السابق ، ص : 65.

[2]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم العهد(العلوي الأول)، مج: 9، دط، ددن، المغرب ، 1988، ص : 57.

[3]- نفسه، ص : 59.

هذه التجارة، إذ كانت ملتقى طرق القوافل القادمة من السودان، فمن سجلماسة تفرعت نحو فاس و مراكش شمالاحيث كان المولى إسماعيل بانِ ياً عاصمته هنا[1].

المبحث الثالث: العلاقات المغربية الأوروبية :

أولا _ مع فرنسا:

إن علاقة السلطان إسماعيل مع ملوك أوربا، ومخاطبتهم له شيء يفوق الحد، ولو تتبعنا ما وقفنا عليه من ذلك لجاء في مجلدات، وقد جلب الفرنسي الشهير الكونت دوكاستري[2]،في كتاباته التاريخية، من ذلك جملة وافرة، وقد كانت ملوك أوربا تهابه وتقدره وتهاديه، وتطلب مهادنته ومسالمته، وكانت بينه وبين لويس الرابع عشر مجاملة وحسن معاملة،كم سارت بينهما السُ فراء في مهمات الأمور[3].

إن علائق السلطان إسماعيل مع لويس الرابع عشر مشهورة ومعروفة، وجرت بينهما مراسلات عديدة في شؤون مختلفة، كمبادلة الأسرى وقضايا القراصنة البحرية، وعقد المعاهدات السياسية والتجارية، وقد سار في ذلك عدة سفراء ومندوبين أمثال: الحاج محمد تميم، والأميرال عبد الله بن عائشة[4].

كانت هذه العلاقات تجري لأغراض عديدة:

1-لأسباب تجارية لأن المولى إسماعيل كان مهتما بالتجارة، ويفضلها عن القرصنة لأن التجارة كانت تُؤمن له رسوماً منتظمة،25% من الصادرات، و10% من الواردات.

---

[1]- عقبي فاطمة ، المرجع السابق ، ص : 59.

[2]- الكونت دوكاستري :هو ضابط وكاتب ومؤرخ فرنسي ، ولد بباريس في 28 ديسمبر 1850م ،التحق بالجيش واهتم بالشؤون الإسلامية بعد ذهابه إلى الجزائر ووضع خريطة للمغرب سنة 1887م وكلف بتقديمها للسلطان ، اهتم بدراسة العديد من الوثائق المتعلقة بالمغرب توفي في 13ماي 1927م.انظر كتاب :العز والصولة،ج1، ص: 276.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان ، المنزع اللطيف ، المصدر السابق ، ص :171

[4]- عبد الرحمان بن زيدان، العلائق السياسية للدولة العلوية، تق و تح :عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط ،1999،ص : 49.

2-علاقات حربية ناجمة عن الاحتلال الأوربي لعدد من الموانئ، من جهة ولهجمات القراصنة المغاربة والأوربيين من جهة أخرى.

3- مشاكل تبادل الأسرى أو افتكاكهم، وكانت هذه من المشكلات المعقدة، وكانت الحكومة الأوربية تجد في هذه المسألة حرجا لأنها نوع من الإذلال[1].

إن البحث في العلاقات بين المغرب الأقصى وفرنسا، في فترة وعهد المولى إسماعيل يدفعنا إلى القول بأنها لم تكن على حالة واحدة، بل كانت تتأرجح بين السلم والوئام تارة، وبين التوتر إلى حد القطيعة تارة أخرى، ورغم كل هذا إلا أن الاتصالات والرسائل المتبادلة والسفارات كانت عديدة بين سلاطين المغرب الأقصى وفرنسا، لعب فيها المولى إسماعيل الدور المميز عبر بوابة السفراء وانتشار البعثات القنصلية، في كل الموانئ المغربية، وفي هذا البحث سنحاول إبراز تلك التفاعلات بين الدولتين في إطار العلاقات الدبلوماسية وتبادل السفراء بين البلدين[2].

1-السفارات المغربية إلى فرنسا:

لقد أبدى السلطان إسماعيل خلال فترة حكمه، إلى استعداده لإقامة علاقات وثيقة وطيبة مع فرنسا ،ومنحها امتيازات تجارية وملاحية واسعة، وكان مقابل ذلك يأمل بالحصول على مساعدتها ضد إسبانيا وإنجلترا، مستغلا بذلك العلاقات العدائية بين فرنسا وهاتين الدولتين، وقد وعد السلطان إسماعيل الفرنسيين بأن القراصنة المغاربة سيحترمون السفن الفرنسية، ووعدهم بمنحهم حق إخراج كل البضائع المغربية، وحتى تلك التي كان المولى الرشيد قد حظر خروجها. كما وعد أيضا بتسهيل شراء الأسرى وبالرغم من أن السفن الفرنسية قامت بعمليات قصف لبعض الموانئ المغربية، فإن الاتصالات

[1]- محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص ص : 96-97.

[2]- بن قايد عمر، علاقات المغرب الأقصى مع دول غرب اروبا المتوسطية (فرنسا و إسبانيا) 1659- 1727، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص تاريخ المغرب الحديث ، جامعة غرداية ، 2011، ص : 66.

ظلت مستمرة بواسطة القائد المغربي ابن حدو، في الشمال في سنة 1681م التي وقعت في المعمورة بينه وبين لوفيفر دولابار، وهي تتكون من ستة عشر فصلا[1].

نتيجة لهذا الاتفاق كتب المولي إسماعيل إلى لويس الرابع عشر، أوائل شعبان 1092هـ/1681م، يؤكد له إفراجه عن الأسرى الفرنسيين، و يخبره بأنه عهد إلى القائد ابن حدو بمواصلة المفاوضات مع الضابط الفرنسي لوفيفر المعين لهذا الغرض و في سنة 1093هـ/ 1682م، ثم وصول المبعوث المغربي محمد تميم[2].

– سفارة محمد تميم :

عين السلطان إسماعيل محمد تميم نيابة عن ابن حدو إلى السفر إلى فرنسا، حيث بدأت رمت اتفاقيات بين الطرفين في سان جرمان، يوم 20 محرم 1093هـ /29 جانفي 1682م، بوقو َ ع عها عن الجانب المغربي الحاج تميم، وعن الجانب الفرنسي دوسينيلاي و دوكرواسي، وقد ألقى الحاج تميم خطابا أمام العاهل الفرنسي، وبمناسبة وجود السفير هلك شاه َ د بباريس تمـــــثيلية ايطالية[3] و كان استقبال هذا السفير المغربي حسناَ في البلاد وخـارج البلاد، فقـــد زار الأوبـــرا و اللـوفر والـمكتبة وأُقيم له استقبال في نـورتدام، و اختلط بعـــدد من الأوساط الاجتماعية و الأدبية[4].

عاد السفير محمد تميم حاملا معه معاهدة تجارية تفاوض بشأنها مع كليبر، و تؤكد هذه المعاهدة الامتيازات التي وردت في أول معاهدة مراكشية سنة 1631م، وتزيدها تفصيلا فهي تنص على السلام الدائم بين البلدين وعلى ضمان حرية الملاحة[5]، في سنة

[1]– محمود علي عامر و محمد خير فارس، المرجع نفسه، ص : 98.

[2]– عبد الهادي التازي ، الوسيط في التاريخ الدولي، ج 3 ، المرجع السابق ، ص : 154.

[3]– نفسه ، ص: 154.

[4]– محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص : 98.

[5]– صلاح العقاد، المرجع السابق ، ص : 66.

1698م، أعاد السلطان إسماعيل استئناف المفاوضات وأرسل سفارة برئاسة ابن عائشة أمير البحر المغربي إلى لويس الرابع عشر[1].

- سفارة عبد الله ابن عائشة :

تمت سفارة ابن عائشة لدى بلاط فرنسا من 14 نوفمبر 1698م إلى غاية 25ماي 1699م، وكانت من أبرز السفارات التي لها محل عناية من عند طائفة من المهتمين بأمر العلاقات المغربية الفرنسية، وكُتِبت حولها التقارير الدبلوماسية والتعليقات الصحفية، ولقد رفع السفير ابن عائشة تقريره إلى العاهل المغربي بكل ما حصل، وكذلك نجد رسالة تتوجه من السلطان إسماعيل إلى الوزير جوردان من مكناس بتاريخ 15محرم/13جويلة 1699م، ويشكره على معاملته الخاصة لسفيره، ويعده بتشجيع سائر العمليات التجارية التي يباشرها[2].

نجد أيضا قد تبعت هذه الرسالة الإسماعيلية رسالة أخرى إلى لويس الرابع عشر من مكناس، بتاريخ أواخر ربيع الأول /25سبتمبر 1699م، ذكر له فيها بأنه رضي بعودة السفير المغربي دون إبرام اتفاقية،مشيرا بعد هذا لما جاء في رسالة سابقة لملك فرنسا تلوح باستعمال القوة، يقول السلطان إسماعيل في رسالته:<< **إن موارد المغرب تجعلنا لا نعْبأ و لا نكترث ،بأن نكون في حرب أو سلم مع فرنسا، و أن مكاتب الملوك لا يكون فيها إلا كلام الصدق بلا كذب ولا إلتواء المعاني، فذلك نقص الأمراء ما يرضاه أحد ، ما جاءنا شكركم و لا صلحكم في شيء>>** [3].

[1]- محمود علي عامر و محمد خير فارس ، المرجع نفسه ، ص : 100.

[2]- عبد الهادي التازي ، الوسيط في التاريخ الدولي ، ج3، ص :157.

[3]- نفسه ، ص :159.

مما قيل في سفارة ابن عائشة أن السلطان إسماعيل كلفه أن يخطب إليه الأميرة دوكانتي من أبيها الملك لويس الرابع عشر، لما أخبره به السفير ابن عائشة عن جمالها ووصف محاسنها له ، وأن هذه الخطبةلم تَلْق نجاحا[1].

إن هذه المقالة المتواترة عند كتبة التاريخ الفرنسيين، وإن كانت على فرض صحتها تدل على رغبة المولىإسماعيل في جعل رابطة فرنسا أوثق شأنا، كما كانت عليه وأشد تمكينا، وربما عدم نجاح هذه الخطبة كان سبب أنهالم تقع بكتاب رسمي تُرسل معه بما ينبغي أن ترسل به من الإجلال، والتكريم اللائقين بمقام الملكين العظيمين، وأنها كتبت من رجل كان نائبا عن بعض التجار الاسبانيين، لكن عملية الخطبة هذه استبعدت من طرف العديد من المؤرخين، واعتبروا أن السفير الذي أرسله السلطان إسماعيل، كان منجَأْل أمر أعظم من تمَلُّحْ جمال الفتيات والتغزل بذكرهن، ومما يذكر هنا أن بعض هدايا لويس الرابع عشر لا تزال موجودة،وهي بقايا العربة المهـداة منه إليه ولاتزال بقصر الدار البيضاء بمكناس[2].

2- السفارات الفرنسية بالمغرب الأقصى :

إن المراسلات والسفارات التي بعثها السلطان إسماعيل قابلها أيضا مراسلات من لويس الرابع عشر،أكبر بُرهان وأدل دليل ما ذكر في كتاب " عيون التاريخ" للكونت دوكاستري، صفحة 434 من الجزء الأول ما نص ترجمته:**<<إلى الملك الأعظم المقتدر حبيبنا الأعز، قد بلغنا بكل فرح خبر جلوسكم على عرش الملك، وما انتم عليه من حسن المعاملة مع من بمملكتكم من تجار النصارى، وما سهلتموه للرهبان من فك أسرى الفرنسيين المأسورين لديكم، وها نحن وجهنا مع سفيرنا عشرة أسرى من المسلمين، وكلفناه بقبض بـدلهم عشرة أسرى من النصـــــارى الموجودين بأعتابكم، و أني أعلم على يقين من أنكم أمرتم ضباطكم ورؤساء رعيتكم بإعطاء الحرية التامة في التـــجارة لمـن يتجرأ من رعيتنا بمملكتكم، وهذا مـــا يزيد في**

[1]- عبد الرحمان بن زيدان ،العلائق السياسية ،المصدر السابق ، ص : 50

[2]-عبد الرحمان بن زيدان، المصدر السابق، ص:51.

توثيق أواصر المـــحبة بيننا و بينكم>> حرر سنة 1672م في باريس[1].انظر الملحق رقم9.

من بين السفارات الفرنسية إلى المغرب نجد:

– سفارة البارون دوسانت أمان :

بتاريخ 03ماي 1682م، صدرت تعليمات إلى دوسانت أمان، بأن يقصد بلاد المغرب لهدف أساسي هو الحصول من السلطان إسماعيل على تأكيد معاهدة 29 جانفي 1682م، بينما تتحفظ التعليمات حول قضية الأسرى المغاربة الموجودين في فرنسا، كما تعهد التعليمات إلى أحد الأساقفة بيتيس دولاكروا بالبحث عن مخطوطات عربية توجد في فاس، و في نفس التاريخ الذي صدرت فيه تلك التعليمات رفع الملك لويس الرابع عشر رسالة إلى المولى إسماعيل يعتمد فيها المبعوث المذكور.،وجو ابا على رسالة لويس كتب ملك المغرب إلى لويس بتاريخ 14 ذي الحجة 1093هـ/ 14 ديسمبر 1682، يذكر فيها من جملة ما يذكر، أن السفير الفرنسي قد وصل إلى بلاد المغرب غير أنه لم يصحب معه الأسرى المغاربة ،الذين كان يتوقع العاهل الإفراج عنهم ، وان السلطان إسماعيل تعبيرا منه عن حسن النية ، يبعث بعشرين أسيرا فرنسيا هدية منه إلى فرنسا، وأنه يغتنم هذه الفرصة ليقترح تبادل الأسرى رأسا برأس، و بهذا نفسر أسلوب الرسالة التي بعث بها السلطان إسماعيل إلى لويس الرابع عشر بتاريخ 09 شعبان1095هـ/ 22ماي1684م ليفهم بها سلوك فرنسا حياله وهو إذ يعاتب ملك فرنسا على تردده في تحرير الأسرى المغاربة، لحد الآن يطلب الالتجاء إلى العدالة في القضايا المطروحة ،و تختم الرسالة الإسماعيلية خطابها إلى لويس بما مفاده :إنه إذا كان العاهل الفرنسي يرغب حقيقة في الاحتفاظ بقواعد السلام بين البلدين، فإن عليه أن يبعث شخصية كفؤة لتسوية المشاكل المعلقة[2].

– سفارة دوسانت أولون إلى المغرب :

[1]– عبد الرحمان بن زيدان ، المنزع اللطيف ، المصدر السابق ، ص: 171.

[2]– عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص : 155.

كتب لويس الرابع عشر إلى السلطان إسماعيل، بتاريخ 14 جانفي1693م، عن طريق سفيره دوسانت ألون ،مذكرا أن التعليقات قد أعطيت له بإبرام الاتفاقيات الجديدة، التي تؤكد اتفاقية 1682 بانتهاء ما يتعلق بفداء الأسرى .

كان وصول المبعوث الفرنسي إلى بلاد المغرب يوم11 ماي 1693م، واستقبله في اليوم الأول السلطان إسماعيل ، وقد جاء قي مذكرات سانت ألون المبعوث الفرنسي للمغرب، أن حديث العاهل المغرب اقتصر فقط على ذكر سبتة، ومن دون شك فإن الجهات المغربية استشفت عدم استعداد فرنسا لمساعدة المغرب على تحرير سبتة، ومن هنا يظهر بأن مهمة سانت ألون على قد فشلت، لكن الطرفين اقتنعا بفتح الحوار من جديد هكذا ظهرت فكرة اعتماد مبعوث عن المغرب ليتناقش مع الجانب الفرنسي حول بنود الاتفاقية[1].

– سفارة جان بيريليي:

في سنة 1703م، تم تعيين القنصل الفرنسي الجديد جان بيريليي الذي وصل إلى مدينة سلا أواخر سنة 1703م، حيث نجد رسالة من السلطان إسماعيل إلى لويس الرابع عشر بتاريخ 10 رمضان 1115هـ / 17 جانفي 1704م، يخبره فيها بأنه استقبل مبعوثه بيريليي ووعده بإعطاء سار التسهيلات، وبالرغم من أن البلاد تعرضت في أعقاب وفاة السلطان إسماعيل إلى اضطرابات داخلية، إلا أن المراسلات استمرت مع البلاط الفرنسي خاصة في عهد السلطان محمد بن عبد الله[2].

إن رغم المراسلات التي كانت بين الملك الفرنسي لويس الرابع عشر و السلطان إسماعيل، إلا أن العلاقات كانت عدائية ومتوترة في العديد من الأحيان،وربما هذا راجع إلى كبرياء لويس الرابع عشر وتمسكه بأنه الملك المسيحي، وقد أظهر في تعامله مع السلطان إسماعيل غباءا حقيقيا أدي في النهاية إلى إفساد العلاقات بين الجانبين، فقد كان ينظر إلى السلطان إسماعيل من برجه المسيحي الرفيع معتقدا في دواخل نفسه أنه يتعامل مع إنسان

[1]– عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص:157.

[2]– نفسه ، ص : 159.

أدنى لأنه مسلم !، ولم يكن هذا بغريب، وإن أُخذ عند الملك الفرنسي صورة الخيلاء الكاذبة ، فهكذا كان مارتن لوثر ينظر إلى الإسلام، وأسوأ من ذلك كان فولتير ينظر إلى الإسلام نظرة فيها خبث وسوء نية، والإسلام عند الأوروبيين إذ ذاك كان ضلالا بعيدا وهذا هو منطق الكنيسة[1].

هكذا كان موقف لويس الرابع عشر اتجاه المغرب سببا في ضياع كل شيء، وفي ذلك قال المؤرخ الفرنسي ج هاردي: <<**لقد أظهر لويس الرابع عشر نزقا وبعدا عن الذكاء بلا حدود، فبدا منه من الجهل بأمور المغرب و أهله، وسوء التصرف في صغار المسائل، ما يستوقف النظر وبهذا تفوق السلطان إسماعيل تفوقا عظيما** >>[2].

ثانيا– مع اسبانيا :

أن رغم شعور الدولة العلوية بالثمار التي يمكن أن تقطفها على سياسة حسن الجوار بينها و بين الذين يوجدون على مرمى حجرة منها، إلا أن هذا الشعور كان يتلاشى في أكثر الأحيان أمام رؤية الجيران و هم يستولون على قطع من ترابها الوطني و بالرغم من أن المغرب كان يلجأ في بعض الظروف لاستعمال القوة من أجل استرجاع ثغوره، فإنه كان أيضا يلجأ إلى استخدام الوسائل الدبلوماسية المتمثلة في مواصلة الحوار[3].

بمقدار ما تعاظم الإسبان عن قبول عرض السلطان إسماعيل بالجلاء عن الثغور المغربية المحتلة، بمقدار ما زاد تصميم السلطان وتركيزه على استخلاص تلك المدن المحتلة،معتمدا في ذلك على قوة جيشه، مما أرغم المحتلين على رفع راية الاستسلام سنة 1689، و سيق حوالي ألفي أسير نحو العاصمة مكناس وغنم سائر ما في مدينة العرائش من معدات[4].

[1]–حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ص : 275–276.

[2]– حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص :278.

[3]– عبد الهادي التازي ،الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، ج3 ، المرجع السابق ،ص:169.

[4]– عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي ،مج 9،المرجع السابق ،ص ص :105–106.

إن سياسة السلطان إسماعيل الخارجية اتجاه الإسبان، والتي تمثلت في البداية باسترجاع الثغور المغربية التي كانت تحت وطأة الاستعمار الاسباني، قد وضعت حدا للأحلام الصليبية في الانقضاض على المغرب كلية ،حيث عمل على استرجاع المهدية التي كانت في يدهم وانتزعها منهم في سنة 1681، وأثناء تحرير السلطان للعديد من الثغور استولى على العديد من الأسرى الذين أصبحوا موضوع مفاوضات بينه وبين ملك إسبانيا، الذي كان هو الآخر يتوفر على أسرى مغاربة وغير مغاربة، وفي سبيل ذلك أرسل إليه السلطان إسماعيل سفارة مكونة من السفير محمد المدعو حدو الغساني[1].

إن مسألة الأسرى الذين تم أسرهم من طرف الجيش المغربي وبأمر من السلطان إسماعيل قد حركت الدبلوماسية الإسبانية وبعث دون كارلوس الثاني بالفرايلي خوان إلى السلطان إسماعيل، وبعث معه رسالة أخرى حول الأسرى الذين تم إلقاء القبض عليهم[2].

السفارات المتبادلة بين البلدين إسبانيا و المغرب :

1_سفارة الوزير حمو بن عبد الوهاب الغساني إلى إسبانيا :

راسل السلطان إسماعيل بتاريخ 16 ذي الحجة 1101 هـ/1690م،كارلوس الثاني ملك اسبانيا حول قضية الأسرى ،واشترط السلطان إسماعيل حول هذه القضية في المراسلة التي حملها سفيره الغساني فدية تمثلت في : نصراني واحد مقابل عشرة من المسلمين المغاربة أو غير المغاربة ، كبارا كانوا أم صغارا أطفالا أم نساء، وخمسة آلاف من الكتب التي تركها المسلمون الذين أخرجوا كرها من ديارهم من مختلف المدن[3].انظر الملحق رقم 10.

قد لقي المبعوث المغربي الغساني ترحيبا من طرف الملك كارلوس الثاني، واستلم الكتاب السلطاني الذي أرسله له السلطان إسماعيل و الذي كان بالغ الأهمية من الناحية القانونية، فهو تناول قضية استرجاع المخطوطات المغربية التي استولى عليها القراصنة

[1]- بن حليمة حياة، خطاب فاطيمة الزهرة، المغرب الأقصى في عهد المولى سليمان 1792-1822م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر، جامعة تيارت، 2015، ص ص:21-22.

[2]- عبد الهادي التازي ، الوسيط في التاريخ الدولي، ج3، ص :170.

[3]- عبد الكريم الفيلالي ،المرجع السابق ، ج4، ص ص : 218-219.

الإسبان أيام السعديين ،و تحديدا في خلافة السلطان زيدان بن أحمد المنصور الذهبي، وذكر السلطان إسماعيل في رسالته أن كل ما أخذ تحت الضغط فهو غير مقبول من الناحية الشرعية [1].

رجعت السفارة المغربية من مدريد في اليوم الأول من رمضان 1102هـ/29 ماي 1691م، في اتجاه الديار المغربية دون تحقق ما أرسلت من أجله، الأمر الذي أفسد العلاقة مع الإسبان وزادها تأزما ،وقد اغتنم الغساني أثناء عودته فرصة للتحدث عن المعالم التي شهدها وأعطى معلومات جد ثمينة عن مسجد طليطلة[2]، ومما يحسب للغساني أيضا أنه بفضل علمه و ثقافته الرفيعة مكّناه من تقديم عروض و تحليلات موضوعية ومترابطة للعديد من القضايا المتصلة بالتاريخ ، ولنا في استعراضه المكثف لتاريخ القارة الأوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر مثال جيد على ذلك.

لقد قدم لنا الغساني في كتابه رحلة الوزير في إفتكاك الأسير العديد من الأحداث والوقائع الحربية والسياسية المتصلة بالتاريخ الأوروبي، وإبراز خلفيات ضرورية متعددة للمشهد الإسباني اجتماعيا و سياسيا في نهاية القرن 17م، وما ميزه من أحداث عسكرية واقتصادية تدخل بينها دسائس البلاطات وصراعات الموك والأمراء[3].

2_سفارة خوان دوسان اوغيستان إلى المغرب 1674م:

نظرا لتعذر الاتصالات الدبلوماسية المباشرة بين المغرب واسبانيا في العهد العلوي الأول وتحديدا في عهد السلطان إسماعيل، اتجهت الأنظار إلى الاستعانة برجال البعثات الدينية الاسبانية من اجل افتكاك الأسرى ، ومنحهم أدوارا مهمة على المستوى الدبلوماسي وفي توثيق الصلات بين المغرب واسبانيا[4].

---

[1]- عبد الهادي التازي ، المرجع نفسه ، ص :172.

[2]- عبد الهادي التازي ، المرجع السابق، ص :171.

[3]- محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691م، حررها وقدم لها : نوري الجرار، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت- لبنان ،2002م ،ص :18.

[4]- بن قايد عمر ، المرجع السابق ،ص: 158.

يبدو أن إسناد هذه المهمة لرجال البعثات الدينية، جاء نتيجة رفض سلاطين المغرب إدراج مشكلة الأسرى ضمن أي علاقة دبلوماسية، إلا في إطار تحرير الثغور المغربية وكان يشترط في الرهبان المكلفين بهذه المهمة عدة شروط من بينها : الشخصية المحنكة التي تملك خبرة في مجال التعامل مع المسؤولين المغاربة، وكذلك معرفتهم للغة العربية،كما يشترط أيضا فيهم التمكن من العلوم الدينية لمواجهة الحُجة بالحُجة، فضلا عن التحلي بالصبر واللباقة مع المغاربة حتى يتمكنوا من إقناعهم بالأهداف التي جاؤوا من أجلها.

ففي سنة 1674م تمكن المبعوث الاسباني السابق الذكر من إطلاق مجموعة لا يعرف عددها ،. وبتزايد أعداد الأسرى الإسبان، وبالخصوص بعد سقوط ثغري المعمورة والعرائش، الأمر الذي جعل البعثات الاسبانية الدينية تكثف من نشاطها بالمغرب، وقد استقبلهم السلطان إسماعيل عدة مرات و أطلق معهم عدد من الأسرى، لكن هذه السفارات لم تلقى نجاحا كما كان مسطرا لها[1].

من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن علاقة المغرب الأقصى بالإسبان في عهد السلطان إسماعيل قد مرت بعدة تقلبات تارة بين السلم والمهادنة من خلال الرسائل والسفارات والمفاوضات المتبادلة ، وتارة أخرى بين الصدام والمواجهة كما وقع من خلال تحرير الثغور المحتلة ، ومواكبة ذلك الصراع في إطار الجهاد البحري والقرصنة، الأمر الذي جعل ظاهرة الأسرى تنتشر بين البلدين ورغم ذلك فقد و اكبت تلك العلاقات محطات دبلوماسية شرع فيها كلا الطرفين لم جهودهما لمد جسور التواصل للوصول إلى حلول أفرزتها وضعية الدولتين[2].

ثالثا – مع انجلترا:

قبل التطرق إلى الإنجليز علينا التحدث عن البرتغال التي منحت لإنجلترا فرصة الاستيلاء على إحدى المدن المغربية، فقد وقعت طنجة في يد الاحتلال البرتغالي يوم 28أوت 1471م، ووضعت هي وسبتة و أصيلا والجديدة تحت السلطة الاسبانية، بعد

[1]- بن قايد عمر ، المرجع السابق ،ص ص :159-160.

[2]- نفسه ، ص :153.

إتحادهما من سنة 1581م إلى غاية 1643م، حيث عادت طنجة إلى البرتغال، وظلت هدفا للمقاومة الشعبية[1].

بعد الهجومات العنيفة للمقاومة المغربية قدمت البرتغال انسحابها لكنها سلمتها إلى الإنجليز في سنة 1661م، ولم يبدأ الانجليز الاحتلال عمليا إلا في سنة 1662م، وقد واصل المغاربة مقاومتهم ضد المحتلين، ونظرا لهذه المقاومة حاول الإنجليز أن يفاوضوا المولى الرشيد سنة 1669م بشأن طنجة لكن دون جدوى[2]، وهكذا فإننا نلاحظ أن المناوشات ضد الإنجليز استمرت حتى في عهد السلطان إسماعيل .

- بداية تصفية الوجود الإنجليزي في طنجة :

في جانفي سنة 1678م هاجمت القوات المغربية قلعتي فندال وهنرييتا ودمرتهما ،وقد كان هذا التدمير بداية النهاية للاحتلال طنجة[3].

في مارس سنة 1679م حدث هجوم آخر مغربي شنه آلاف الرجال على القلاع الخارجية، استطاعوا خلاله على عدد منها ،وقد شجع هذا النجاح المهاجمين على فرض حصار دائم على طنجة واكبه نقص الدفاعات الخارجية للمدينة، وقد استسلم رجال قلعة هنرييتا إلى المغاربة في ماي 1680م وهذا بعد تفجير لغم أطاح بنصف قلعتهم، وفي نفس السنة أستُدعي اللورد أنشكوين إلى لندن للتشاور في وضع طنجة الذي كان يسير من سيء إلى أسوأ، وقررت الحكومة الإنجليزية إرسال تعزيزات التي كانت المدينة في أشد الحاجة إليها، وبعد ذلك حاول الإنجليز القيام بعقد سلام دائم مع المولى إسماعيل[4].

محاولات عقد السلام وبداية السفارات الإنجليزية إلى المغرب :

[1]-إبراهيم حركات ، المرجع السابق ،ج 3 ، ص :43.

[2]- إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص :45.

[3]- ب ج روجرز ، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900م، تر :يونان لبيب رزق ،ط 1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب ، 1981م، ص : 88.

[4]- نفسه ، ص ص :89-90.

إن هذه الخطوة التي قام بها الإنجليز كانت في نظرهم اعتقادا راسخا بأنه من الغباء الاستهانة بالمغاربة الأمر الذي جعلهم يبادرون بإرسال سفراء من أجل التفاوض لعقد السلام.

أ-سفارة المبعوث الإنجليزي للمغرب سيرجيمس لسلي:

توجه هذا المبعوث إلى مكانس في 9مارس 1681م، ووصل القصر الملكي في 20 من نفس الشهر، حيث استقبله السلطان بحفاوة ووافق أن يعقد هذا المبعوث الإنجليزي مع القائد ابن حدوا معاهدة سلام تم إبرامها في مكناس يوم 29 مارس 1681م. وقد قضت هذه المعاهدة بقيام هدنة بين الطرفين مدتها أربعة سنوات، بشرط أن يوقف الإنجليز كل أعمال التحصينات خارج المدينة كما تفاوضا أيضا المبعوث الإنجليزي مع السلطان إسماعيل حول قضية الأسرى الإنجليز الذين بلغلوا حوالي مائة وثلاثين أسيرا غير أن هذا المبعوث وجد نفسه عاجزا عن تحرير أيٍ ا منهم نظرا للثمن الباهظ الذي طلب لتحريرهم[1].

ب- سفارة شارل ستيورات إلى المغرب :

في 27 جويلية 1714م جرت اتفاقية بين السلطان إسماعيل والملكة آن، ونتيجة لهذا نجد انه تقرر إرسال سفارة هامة إلى العاصمة الإسماعيلية سنة 1721م من اجل المفاوضات و المحادثات التي أدت إلى اتفاقية السلام و التجارة في 23 جانفي 1722م، والمكونة من خمسة عشر فصلا[2].انظر الملحق رقم:11.

السفارات المغربية إلى انجلترا:

_ سفارة محمد بن حدوا : لقد وجدت انجلترا نفسها وجها لوجه مع السلطان إسماعيل الذي توجها بكل ثقله إلى الضغط علي طنجة وتحريرها من يد الإنجليز بعدما قضى علي الثورات الداخلية التي كان يعاني منها المغرب .

[1]- ب، ج، روجرز ، المصدر السابق ، ص ص : 91- 92.

[2]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي، مج : 9، ص ص : 167-168.

من هنا جاء التفكير في إرسال سفارة مغربية لمفاتحة الملك شارل الثاني حول قضية طنجة، وقد أستقبل السفير المغربي استقبالا حافلا علي ما تذكره بعض المصادر والتقارير الإنجليزية[1].

لقد كان اختيار السلطان إسماعيل في التعامل مع الإنجليز إقتداء بأحمد المنصور الذهبي هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن الإنجليز رفضوا المواجهة المسلحة ضد المغرب نظرا لظروفهم الخاصة[2] . هذا ما جعل السلطان إسماعيل يعمل علي تقوية العلاقة بينه وبين شارل الثاني الذي قيل انه انسحب من طنجة دون إراقة الدماء، والذي أكد له السلطان إسماعيل انه لا يهتم بالماضي وان هذه العلاقة واجب أن تكون حسنة بين الملوك رغم اختلاف الألسنة والأديان[3].

في 9 سبتمبر 1682م عاد السفير ابن حدوا إلى طنجة ثم توجها إلى مكناس ليقدم تقريره إلى السلطان إسماعيل مع مشروع الاتفاقية التي كان السفير قد شرط تنفيذها عي السلطان لكنه رفض المصادقة عليها وقرر تحرير طنجة بالقوة[4]، هذا ما أدى بالملك البريطاني في سنة 1684م بإصدار أمر من اجل إخلاء المدينة وهدم المنشآت البنائية والدفاعية وحسب اليفرني فإن دخول الجيش المغربي إليها كان في 16 أفريل 1684م[5].

بعد استرجاع طنجة تحسنت العلاقات المغربية الإنجليزية بالرغم من أعمال القرصنة، لكن هذه العلاقة لم تستر خاصة بعد المفاوضات التي جرت بين الطرفين حول موضوع الأسرى ولم يتوصلا إلى اتفاق حول الشروط المقترحة لهذه القضية وهكذا توترت العلاقات بينهما من جديد[6]، وبهذا يمكن القول أن العلاقات الإنجليزية المغربية كغيرها من الدول

[1]- عبد الهدي التازي ، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ،ج3، المرجع السابق ، ص : 185.
[2]- عبد الكريم الفيلالي، المرجع السابق ، ج4 ، ص : 181.
[3]- نفسه ، ص : 190.
[4]- عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص :186.
[5]-إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص :46.
[6]- عبد الهادي التازي ، المرجع نفسه، ص : 186.

الأوربية الأخرى حيث مرت بعدة تقلبات وتوترات، ومهادنة وسلام و مفاوضات في بعض الأحيان .

رابعا – مع باقي الدول الأوروبية الأخرى :

إن علاقات السلطان إسماعيل بأوربا لم تقتصر علي فرنسا وإسبانيا وإنجلترا فقط، وإنما كانت له علاقات مع دول أروبية أخرى منها:

1- مع البرتغال :

لقد تحدثت الكثير من المصادر عن سفارة برتغالية بالبلاط المغربي ،و بالذات في قصر البديع بمدينة مراكش في أواخر جمادى الثانية 1088هـ/1677م[1].

استقبل السفير البرتغالي من طرف السلطان المغربي مع طائفة من القادة والجند و الخيالة وجرت محادثات حول مصير ثغر الجديدة، الذي كان محتل من طرف البرتغال والتي كانت متمسكة بها، الأمر الذي جعل السلطان المغربي يرفض استقبال سفارة برتغالية أخرى في مكناس من أجل تحرير الأسرى البرتغاليين ، هذا ما أكد عليه القنصل الفرنسي بيريليي، في رسالة مؤرخة بسلا في 6 نوفمبر 1689م، و الذي ذكر فيها أن السلطان إسماعيل رفض استقبال أي سفارة برتغالية و طالبه بالجلاء التام عن مدينة الجديدة[2].

هذا مما جعل التوتر بين البرتغال والمغرب يبلغ أوجه مطلع سنة 1691م خاصة بعد اللقاء الذي تم بين السلطان المغربي و السفير البرتغالي جوزيف ألفراس، الذي جاء لمفاتحة السلطان إسماعيل من جديد لأجل تحرير الأسرى البرتغاليين، لكن هذا السفير وجد نفسه محرجا أمام السلطان المغربي، الذي كان يهمه تحرير مدينة الجديدة ،واسمعه علاوة علي ذاك

[1]- عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي ، مج : 9،ص: 135.

[2]- نفسه ،ص ص :136-137.

تأنيبا وتهديدا جعلاه يرتبك في الجواب بعد أن خاطبه السلطان قائلا:<< **لقد كتبت منذ سنتين إلى ملكك من أجل أن يعيد إلي مدينتي الجديدة، ولكن كتابي ظل بدون جواب**>>إن اهتمام البرتغال وتمسكهم بمدينة الجديدة حتم علي السلـــــــطان توجيه رسالة إلى بيدروا الثاني في سنة 1696م، ذكـــــر له فيها بأنه سيقبل مبدأ التفاوض مـــــن أجل افتداء الأسرى شـــــرط أن يبعث له المـــــلك البرتغالي بمـــــفاوض يكون عضـــوا في المجلس الملكي البرتغالي[1]، ورغم محاولات السلطان إسماعيل لتحرير مدينة الجديدة إلا أن المنية سبقته دون أن يحقق رغبته التي كان يطمح دائما إلي تحقيقها الأمر الذي جعل البرتغاليين يعيشون بعض الهدوء النسبي بعد وفاته، لتبقي مهمة تحرير ثغر الجديدة في عاتق السلاطين الذين خلفوه ومنهم محمد بن عبد الله الذي تمكن من إخراج البرتغال في 11 مارس 1769م بعد اشتباكات طويلة وأطلق على اسم المدينة الدار البيضاء[2] .

2- مع هولندا :

إن علاقات المغرب مع الدول الأوربية على مختلف أجناسها جعله يحتل مكانة عالية ومميزة بين مختلف تلك الدول، مما جعل العديد منها تتنافس في التودد وتسارع إلى مصافحته بيد السلم وحسن التعاون[3]، ومن بينها هولندا التي كانت علاقتها مع المغرب منذ أيام السلطان المولى الرشيد ، وتواصلت عندما جلس إسماعيل على كرسي الحكم ،حيث نجد بتاريخ 13 ذي الحجة 1093هـ /13 ديسمبر 1682م ،مشروع اتفاقية مغربية هولندية تتألف من واحد وعشرين فصلا تدارسها الجانبان، وقد توج هذا المشروع بطابع السلطان إسماعيل، وجاء فيه مايلي: <<**الحمد لله تم توقيع شروط الهدنة بين الإمام الفخر المقلد بسيف العز والنصر السلطان، الأفخم ملك العرب و العجم، وحامل راية المجاهدين في سبيل ربي العالمين أبي الفدا المولى إسماعيل ابقى الله الخلافة فيه إلى يوم الدين وبين عظيم البلاد الهولندية البيرنس دورنج**>>.[4] فهذه الرسالة كانت دلالتها واضحة بعقد الصلح والإتفاق بين

[1]- عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ،ص ص:138-140.

[2]- نفسه ،ص :141.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان ، العز و الصولة ،ج1 ، المصدر السابق ، ص : 276.

[4]-عبد الهادي التازي، المرجع نفسه، ص : 185.

الطرفين و هو ماأكده السلطان الذي أرسل رسالة بتاريخ 10 رمضان 1095هـ/ 21أوت1684م، إلى هولندا طمأنها فيها بان شروط المهادنة في البحر بين الجانين مضمونة وأنه يطلب المزيد من البنادق والبلود و الأدوات اللازمة للأسطول. فهذه الرسالة كانت الصيغة النهائية لتأكيد و ضمان الاتفاقية الهولندية المغربية[1].

[1]- نفسه ،ص :187.

من خلال ماسبق ذكره في هذا البحث المتواضع استنتجنا أن المغرب في عهد المولي إسماعيل كان حافلا بالأحداث المختلفة ، حيث استطاع السلطان إسماعيل بفضل حنكته السياسية توحيد أقطار المغرب الأقصى وإعادة الاستقرار داخله .

جاءت هذه الوحدة الترابية للمغرب بفضل الآلة العسكرية التي كانت الوسيلة الرئيسية في تحقيق كل هذه النجاحات ، ولم يعد في المغرب اي مؤسسة قادرة علي مجادلة المخزن الإسماعيلي بما فيها مؤسسة الزوايا التي كانت القوي السياسية العظمي في البلاد ، و بذالك يكون السلطان إسماعيل قد نجح إلى حد كبير في سياسته الداخلية من تقليص نفوذ كل الزعامات الدينية في الساحة المغربية .

بعد انتهاء السلطان من ضبط الأمور الداخلية المتعلقة بالتمردات والثورات الداخلية، اتجه نحوا المناطق المحتلة واستطاع تحقيق ما عجز عنه المجاهدون والقبائل طوال عقود من الحصار المتواصل، وبفضل الجيش الإسماعيلي الذي قام بواجبه أتم قيام استرجع العديد من الثغور المحتلة التي كان يسيطر عليها المستعمر الأجنبي.

علي العموم ، فإن السلطان إسماعيل قد تمكن علي المستوى الداخلي من ضبط الأمن في مختلف أرجاء البلاد وتوسيع نفوذه إلي شنقيط وتخوم السودان و الإستفادة منها كما أنها كانت بالنسبة له موردا هاما للعبيد المشكلين لجيشه بالإضافة إلى القوافل التجارية المارة من هناك والمحملة بالسكر والتبر ،و بذالك نلخص سياسته الداخلية في هذه النقاط:

- بناء جيش من نوع جديد(جيش عبيد البخاري)
- تقليص نفوذ الزوايا التي كانت تسيطر علي مختلف أرجاء المغرب
- الإكثار من الجبايات والضرائب من أجل تطور الاقتصاد الداخلي للمغرب

أما علي المستوي الخارجي فنجد لهذا السلطان العديد من المراسلات والبعثات بينه وبين مختلف مع الدول خاصة الأوروبية التي كان له احتكاك كبير معها و المتعلقة بالتجارة والأسري مما جعل العديد من السفارات تتوافد علي البلاط المغربي ، وبهذا يكون السلطان قد كسب ود العديد من الدول الأوروبية في عهده

الملحق رقم :(1).[1]

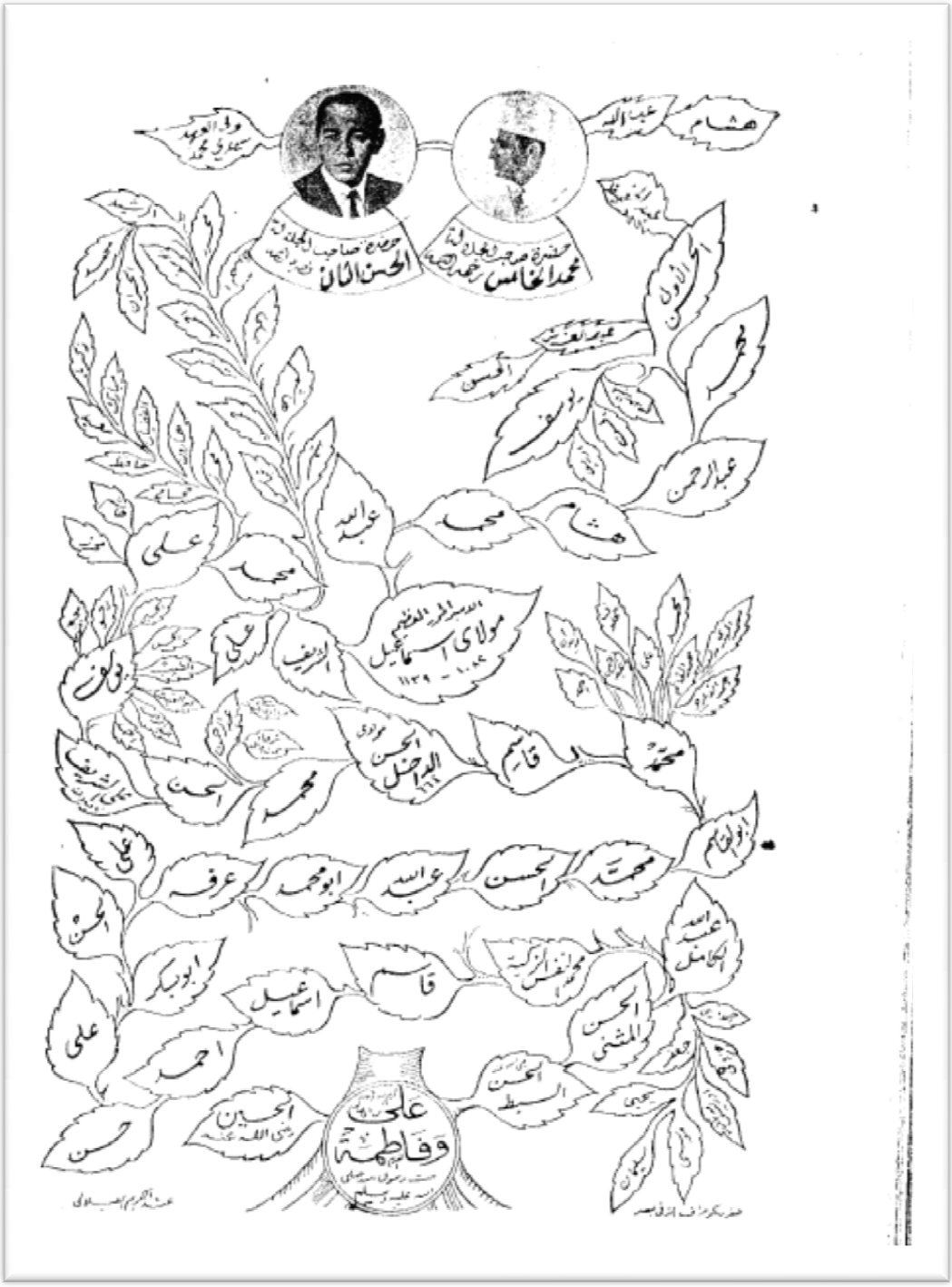

-شجرة نسب العلويين-

[1]-احمد بن عبد العزيز العلوي، المصدر السابق ، ص:2

الملحق رقم :2[1]

-الشريف بن علي جد الأسرة العلوية-

[1]- عبد الرحمان بن زيدان ، روضة التعريف ، المصدر السابق،ص :40.

الملحق رقم 3:[1]

-محمد بن الشريف بن علي-

[1]- عبد الرحمان بن زيدان ، ، المصدر السابق،ص :41.

الملحق رقم :4[1]

-المولي الرشيد بن الشريف بن علي –

[1]- عبد الرحمان بن زيدان ، ، المصدر السابق،ص :41.

الملحق رقم:5[1]

-المولي إسماعيل بن لشريف بن علي-

[1]- عبد الرحمان بن زيدان ، ، المصدر السابق،ص :42.

الملحق رقم :6[1]

-زوجة السلطان إسماعيل-

[1]- عبد الرحمان بن زيدان ، المنزع اللطيف ، المصدر السابق،ص : 394.

الملحق رقم :7[1]

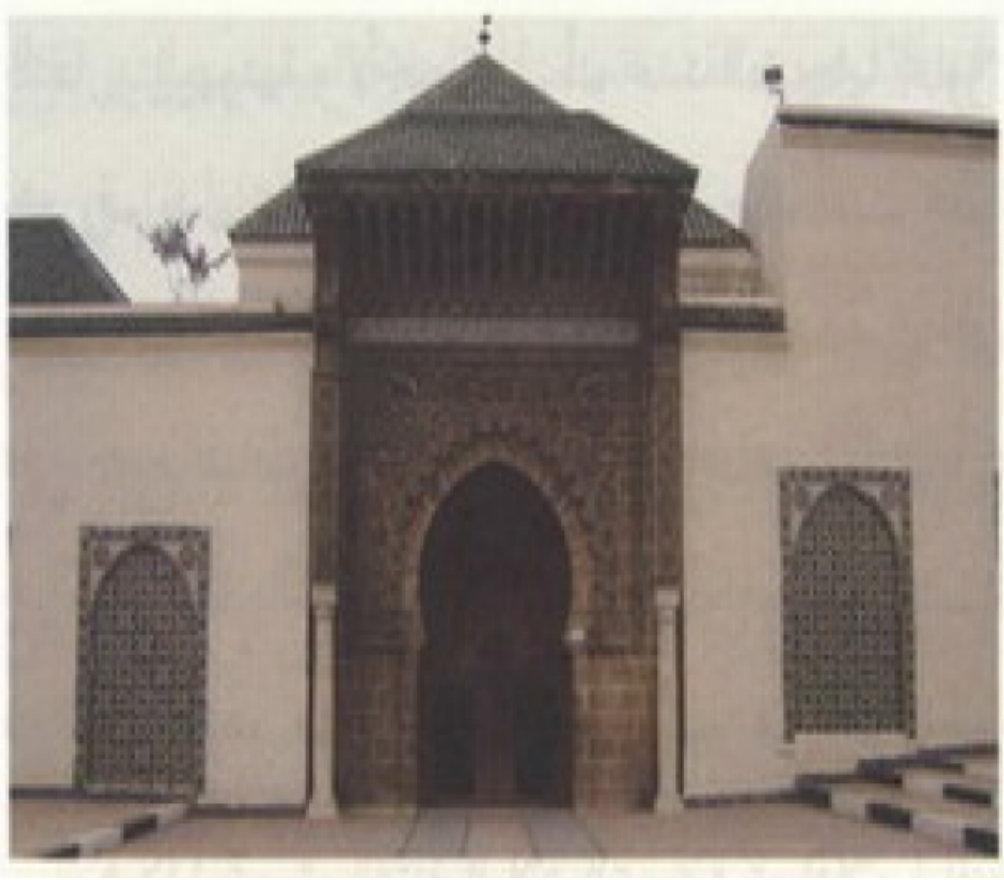

-ضريح المولي إسماعيل في مدينة مكناس-

[1]- محمد القبلي ، المرجع السابق ،ص :425.

الملحق رقم :8[1]

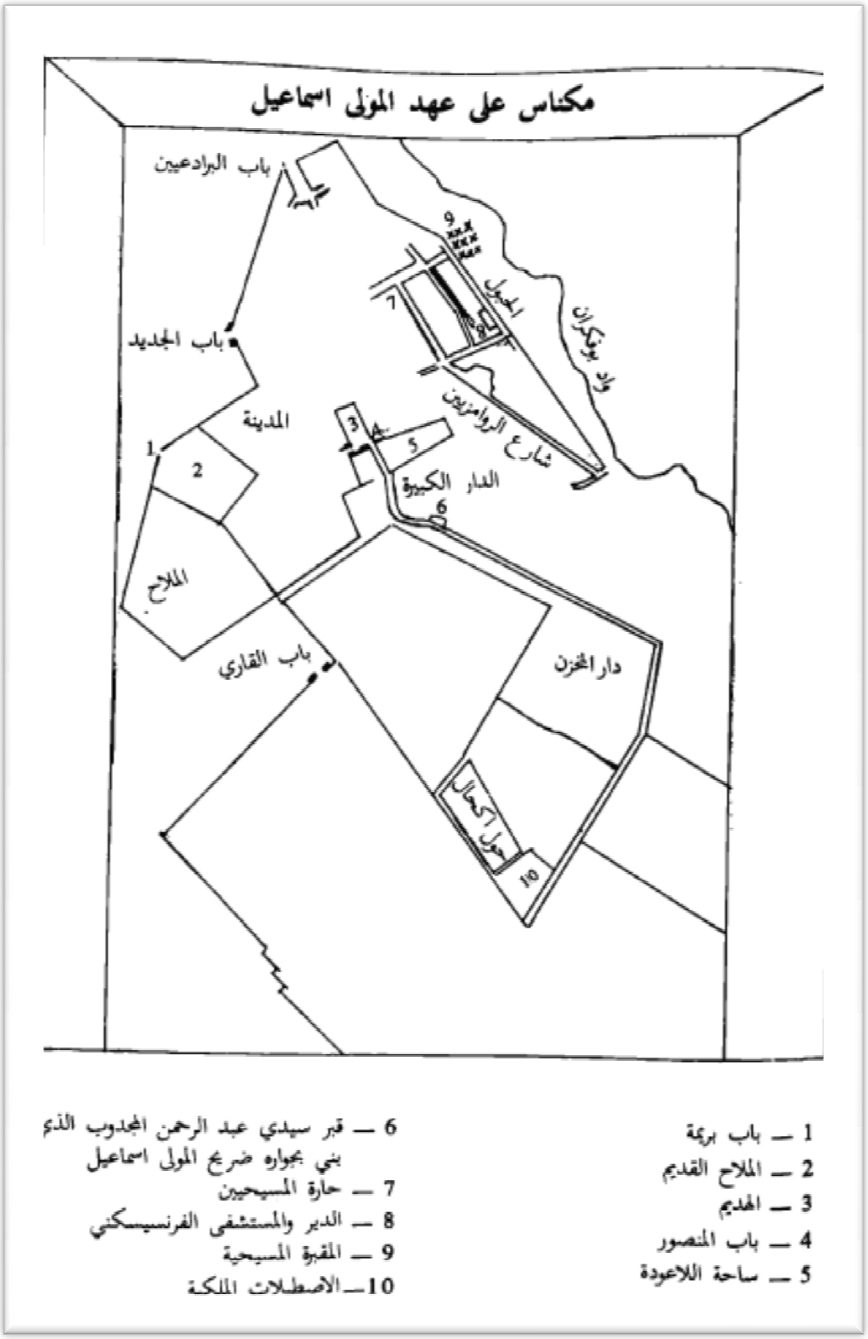

-خريطة مكناس في عهد السلطان إسماعيل-

[1]- محمد مزين وآخرون، المرجع السابق ،ص:267.

الملحق رقم 9[1]

إحدى رسائل السلطان المولى إسماعيل الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر.

-رسالة السلطان إسماعيل الي لويس الرابع عشر –

[1]- عبد الرحمان بن زيدان ، المنزع اللطيف ، المصدر السابق،ص :277.

الملحق رقم :10[1]

-خطاب المولي إسماعيل مع كارلوس الثاني في سنة 1690 –

[1]- عبد الهادي التازي ،الوسيط في تاريخ المغرب ،المرجع السابق ، ص :172.

الملحق رقم :11[1]

-اتفاقية المغرب وإنجلترا ، السلطان إسماعيل و العاهل البريطاني 1714م -

[1]- عبد الهادي التازي ، ،المرجع السابق ، ص :189.

أ- المصادر:

1- الإفراني محمد الصغير ، **نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي** ، تح :عبد اللطيف الشادلي ،ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،1998م.

2- (ـــــ، ـــــ)، روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف ، تح:عبد الوهاب منصور ،ط2، المطبعة الملكية ، الرباط ،1995م.

3- بروفينصال ليفي **مؤرخو الشرفاء** ، تع : عبد القادر الخلادي ،د ط ،دار المغرب للتأليف و الترجمة والنشر ،الرباط ،1977م.

4- الرهوني أبو العباس أحمد ،**عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، ج 2، تح :جعفر ابن الحاج السلمي ، ط2 ، الطوبريس لطباعة و النشر ، شارع أبي جرير الطبري ، طنجة المغرب ، 2001م.

5- الريفي عبد الكريم بن موسي ، زهرة الأكم ، تح: آسية بنعدادة ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1992م.

6- الزياني أبو القاسم، **البستان الظريف في دولة مولانا الشريف** ،(القسم الأول من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)، تح : رشيد الزاوية ، مطبعة المعارف الجديد، الرباط ، 1992م.

7- (ـــــ،ـــــ)،**الخبر عن أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولايا الشريف بن علي ،منقول من كتاب الترجمان المعرب عن دولة المشرق والمغـــــرب** ،د ط،المطبعة الجمهورية ، باريس ، 1882م.

8- (ـــــ،ـــــ)، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب** ،تح: رشيد الزاوية ،ط1، منشورات وزارة الأوقاف ووزارة الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ، مطبعة الأمنية ، الرباط، 2008.

9- (ـــــ،ـــــ) **جمهرة التيجان و فهرس الياقوت واللؤلؤ و المرجان في ذكر الملوك وأشياخ المولى سليمان** ، تح : عبد المجيد خيال ، ط1، منشورات محمد علي يضون لنشر كتب السنة والجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2003م.

10- ابن أبي زرع الفاسي علي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، د ط ،د د ن ، الرباط ، 1979م .

11- بين زيدان عبد الرحمان ،**الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفلس الزاهرة** ،د ط، دار المعارف و العلوم ، الرباط ،1937م.

12- (ـــــــ،ـــــــ) ،**إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكنـــــــاس** ،ج2، تح : علي عامر ،ط1،مكتبة الثقافة الدينية شارع بور سعيد ، القاهرة ،2008.

13- (ـــــــ،ـــــــ)، **المنزع اللطيف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف** ، تح:عبد الهادي التازي ، ط1، مطبعة إديال ، الدار البيضاء ، 1993م.

14- (ـــــــ،ـــــــ)، **العز والصولة في معالم نظم الدولة** ،ج1، ج2،د ط ،المطبعة الملكية ، الرباط 1961م.

15- (ـــــــ،ـــــــ)، **العلائق السياسية للدولة العلوية** ،تح : عبد اللطيف الشادلي ، المطبعة الملكية ،الرباط ، 1999م.

16- الضعيف الرباطي محمد ، **تاريخ الضعيف (الدولة السعيدة)**، تح : احمد العماري ، ط1، دار المأتوات ، الرباط ، 1986م.

17- بن عبد الله الفاسي الفهري محمد البشير ،**تاريخ قبيلة بني زروال** (مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية)،د ط،منشورات جمعية علوم الإنسان ،شارع مولاي الشريف ،الرباط ،المغرب ،دس.

18- بن عبد العزيز العلوي أحمد ، **الأنوار الحسنية** ،د ط، وزارة الأنباء ،المغرب،دس.

19- الغساني محمد ، رحلة الوزير في إفتكاك الأسير 1690-1691م، تق:نوري الجرار ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ،2002م.

20- الفضلي مولاي إدريس ،**الدرر البهية والجواهر النبوية** ،ج1،مر وتق:أحمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن أحمد العلوي ،د ط،مطبعة فضالة ،زنقة ابن زيدون ،المحمدية ،المغرب،1999م.

21- القادري محمد بن الطيب ،**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** ،ج1، ج2،ج3، تح: محمد حجي و أحمد توفيق ، د ط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، 1978م.

22- ابن القاضي أحمد ،**المنتقى المقصور علي مآثر الخليفة المنصور** ، ج1، تح:محمد رزوق، د ط، مطبعة المعارف الجديد ، الرباط ،1986م.

23- الكانوني العبدي محمد بن أحمد ، **علائق أسفي ومنطقتها بملوك المغرب** ،تح: علال ركوكو أخرون ، ط1، مطبعة ربانيت ، المغرب ،2004م.

24- الكنوسي ابي عبد الله محمد بن أحمد ، **الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي** ، ج1، تح: أحمد بن يوسف الكنوسي ، د ط، المطبعة و الوراقة الوطنية ، زنقة ابو عبيدة الحي المحمدي ، مراكش ، 1994م.

25- كنون عبد الله ،**النبوغ المغربي في الأدب العربي** ،ج1، ط2،ددن ،دس .

26- كربخال مارمول ، **إفريقيا** ،ج1، ج2،تر :محمد حجي و محمد الأخضر ، د ط ، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ،1988م .

27- مؤلف مجهول ، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية** ،تح : عبد الرحيم بنحادة ، دار تينمل لطباعة والنشر ، مراكش ،1994م.

28- المشرفي محمد بن محمد بن مصطفي ، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية** ،ج1،تح : إدريس بوهليلة ، ط1، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 2005م.

29- المقري أحمد بن محمد ، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من الحضرتين مراكش وفاس**، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983م.

30- مويط جيرمان ،**رحلة الأسير مويط** ،تر : محمد حجي ومحمد الأخضر ، د ط ، دار المناهل لطباعة و النشر ،مركز الدراسات والبحوث العلمية ، الريصاني ، المغرب ، 1990م.

31- الناصري أبو العباس أحمد ين خالد ، **الإستقصا للأخبار دول المغرب الأقصى** ، ج4، ج5،ج6،ج7،تح : جعفر الناصري و محمد الناصري ، د ط، دار الكتاب ، ساحة المسجد المحمدي ، الدار البيضاء ، 1997م.

32- الوزان الفاسي الحسن بن محمد ، **وصف إفريقيا** ، ج1، تر : محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2،

ب_ المراجع :

33- الأرقش دلندة وآخرون ،**المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**،د ط ،مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس ،2003م.

34- الأمين محمد ،**المفيد في تاريخ المغرب** ،د ط، دار الكتاب ، الدار البيضاء ،دس

35- بوركبة السعيد ،**دور الوقف في الحياة الثقافية في المغرب في عهد الدولة العلوية** ،ج1،د ط،مطبعة فضالة زنقة ابن زيدون المحمدية ، المغرب ، 1996م.

36- البوزيدي أحمد ،**التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن السابع عشر مطلع القرن العشرين**، (دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية)، د ط، صدر هذا الكتاب بدعم من مؤسسة الملك عبد العزيز ، أفاق متوسطية، الدار البيضاء ،1994م.

37- بزاز محمد الأمين ،**تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18و19م** ،د ط، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط ،1992م.

38- برادة ثريا ،**الجيش المغربي وتطوره في القرن 19م**، د ط ،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،1997م.

39- بوكاري أحمد ، **الزاوية الشرقاوية** (زاوية أبي الجعد دورها الاجتماعي والسياسي)،ج2 ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،1989م.

40- بنين أحمد شوقي ،**خزائن كتب المغرب** ،تر: مصطفي طوبي ،ط1،مطبعة الوراقة الوطنية ، مراكش،2003م.

41- البلغيثي آسية الهاشمي ، **المجالس العلمية السلطانية علي عهد الدولة العلوية الشريفة**،ج1،د ط،مطبعة فضالة زنقة ابن زيدون المحمدية ،المغرب 1994م.

42- بوسلام محمد البشير ، **تاريخ قبيلة بني ملال 1854–1916م**،د ط، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ،1991م.

43- البوعياشي أحمد عبد السلام ،**حرب الريف التحريرية و مراحل النضال** ،ج 1، د ط، مطبعة الأمل ، طنجة ، 1974م.

44- التر سامح عزيز ،**الأتراك العثمانيين في إفريقيا الشمالية** ،تر ، محمد علي عامر ، ط1، دار النهضة العربية لطباعة والنشر ، بيروت ، 1989م.

45- التازي عبد الهادي ،**الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب** ،مج: 3، ط1، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ،2001م.

46- (ـــــ،ـــــ)،**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلي اليوم (العهد العلوي الأول)**، مج 9، د ط،ددن ، المغرب 1988م.

47- جلاب حسن ، **الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة السبع رجال** ، ط1، مطبعة الوراقة الوطنية ،مراكش ،1994م.

48- الجمل شوقي عطا الله ،**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**،(**ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب**)،ط1، الأنجلو المصرية ، القاهرة ،1977م.

49- حركات إبراهيم ،**المغرب عبر التاريخ** ،ج2،ج3، ط1 ، دار الرشاد الحديثة ، شارع فيكتور هيغو ، الدار البيضاء ،1978م.

50- حجي محمد ، **الزاوية الدلائية و دورها العلمي والديني و السياسي** ،د ط ، المطبعة الوطنية ،الرباط ،1964م.

51- الذهبي نفيسة ،**الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب (دراسات تاريخية مهداة للأستاذ إبراهيم حركات** ،ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1997م.

52- راشد أحمد إسماعيل ،**تاريخ أقطار المغرب العربي السيـــاسي الحديث والمعاصر (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب موريتانيا)**، ط1، منشورات النهضة العربية ، بيروت، لبنان ،2004م.

53- روجرز ب ج، **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900**، تر : يونان لبيب رزق ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب، 1981م

54- روزق يونان لبيب و مزين محمد ، **تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912م**، د ط، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، 1982م.

55- السائح حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب ، ط2، دار الثقافة لنشر و التوزيع شارع فيكتور هيغو، الدار البيضاء، 1986م.

56- السيد محمود ،**تاريخ إفريقيا القديم والحديث**، د ط، مؤسسة شباب الجامعة ، مسكن مصطفي المشرفي ، الإسكندرية،دس.

57- السعود عبد العزيز، **تطوان في القرن 18(السلطة المجتمع الدين)**، القسم الثاني، ط1، مطبعة الخليج العربي، شارع الحسن الثاني، تطوان، 2007م.

58- سيمو بهيجة، **الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912م**، د ط، المطبعة الملكية، الرباط، 2000م.

59- الشابي مصطفي، **الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830-1912م**،ج1، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، زنقة ابو عبيدة، الحي المحمدي الدوديات، مراكش، 2008م.

60- (ـــــ،ـــــ)، **النخبة المخزنية في المغرب في القرن التاسع عشر**، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995م.

61- ضيف شوقي، **عصر الدول والإمارات (الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)**،ط1، دار المعارف كورنيش النيل، القاهرة، دس.

62- بن العربي الصديق، **كتاب المغرب**، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1984م.

63- بن عبد الله عبد العزيز، **تاريخ المغرب العصر الحديث و الفترة المعاصرة**، ج2 د ط، نشر وتوزيع مكتبة السلام، الدار البيضاء، دس.

64- العيدروس محمد حسن،**تاريخ العرب الحديث**، د ط، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، 2001م.

65- العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، ج3، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996م.

66- عامر محمد علي و فارس محمد خير، **تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى، ليبيا)**، ج1، د ط، منشورات جامعة دمشق، 2000م.

67- العقاد صلاح، **المغرب العربي في التاريخ الحديث و المعاصر(الجزائر، تونس ا، المغرب الأقصى)**،ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، 1993م.

68- غلاب عبد الكريم ، **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي (عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر)**،ج3، ط1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م

69- الفيلالي عبد الكريم، **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**،ج4، شركة ناس للطباعة، القاهرة،2006م.

70- القبلي محمد،**تاريخ المغرب تحيين وتركيب** ، ط1، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م.

71- محروس إسماعيل حلمي،**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر(من الكشوفات الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية)**،ج1، د ط، مؤسسة شباب الجامعة سكن مصطفي المشرفي ، الإسكندرية، دس.

72- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب و حضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**،ج3، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 1992م.

73- المدغري عبد الكبير، **الفقيه أبو علي اليوسي (نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية)**، د ط، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب، 1989م.

74- الميضي عبد الرحمان إبراهيم، **القضاء ونظامه في الكتاب والسنة**، ط1، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1989م.

75- وايسجربر فريديريك، **علي عتبة المغرب الحديث** ،القسم الاول، تر:عبد الرحيم حزل، د ط، مطبعة الأمنية، الرباط، 1949م.

76- اليوبي لحسن، **الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من العهد السعدي إلى ما قبل الحماية**، د ط، مطبعة فضالة زنقة ابن زيدون المحمدية، المغرب ، 1998م.

ج- المجلات:

77- **مجلة دار النيابة** ،العدد 5.

78- الياسري فاهم نعمة، **الإسهامات السياسية لمتصوفة المغرب الأقصي في العصر الحديث**،مجلة كلية التربية، العدد12، د ط، دس.

79- يحي جلال، **المولي إسماعيل وتحرير الثغور**، مجلة المؤرخ العربي، العدد:3، مجلة تصدرها الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب،1974م.

د- الموسوعات والندوات:

80- الغنيمي عبد الفتاح، **موسوعة المغرب العربي**، ج5،ج6،ط1، مكتبة مديولي ، القاهرة، 1994م.

81- مزين محمد وآخرون، **أعمال ندوة الحاضرة الإسماعيلية**، د ط، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1988م.

هـ- الأطروحات:

82- بوتابوت عتيقة،**الدولة الإسماعيلية و المجتمع1672-1727م**،(**مقاربة تاريخية اجتماعية**)، رسالة لنيل شهادة الماستر في ناريخ و حضارة دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، جامعة وهران، 2016م.

83- بن حلبمة حياة، خطاب فاطمة الزهرة، **المغرب الأقصى في عهد المولي سليمان 1792-1822م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة تيارت، 2015م.

84- بن خروف عمار، **العلاقات بين الجزائر والمغرب 1517-1659م**،رسالة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ، جامعة دمشق،1983م.

85- دحام الحاج،**العلاقات السياسية بين الجزائر و الدولة العلوية بالمغرب الأقصي 1650-1830م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة تيارت، 2016م.

86- شطاح عافية ، لودي زبيدة، **صراع المخزن مع الطرق الصوفية في المغرب الأقصى خلال عهد الدولة العلوية 1680-1912م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة تيارت، 2016م.

87- عقبي فاطمة،**العلاقات الجزائرية المغربية فيما بين سنتي 1631-1727م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة دول الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، جامعة وهران، 2016م.

88- بن قايد عمر**علاقات المغرب الأقصى مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا و إسبانيا)، 1659-1727م**، رسالة لنيل درجة الماجستير في تخصص المغرب الحديث، جامعة غرداية، 2011م.

- البسملة .

- شكر وتقدير..

-. إهداء

- مقدمة : .....أ،ب،ت،ث

– مدخل 06

– الوضع السياسي للمغرب الأقصى من الوطاسيين حتى وصول العلويين 06

ـ الدولة الوطاسية 1471-1554م.....06

ـ الدولة السعدية 1510-1659م.....08

ـ معركة واد المخازن 1578م.....09

ـ ضعف وانهيار الدولة السعدية.....11

ـ الدولة العلوية 12

ـ بداية الحكم العلوي واعتلاء محمد بن الشريف العرش العلوي 1638م.....13

ـ المولى الرشيد.....14

ـ وفاة الرشيد.....15

الفصل الأول : .المولى إسماعيل نشأته وحياته السياسية

المبحث الأول : المولد والنشأة

المولد 17

نشأته. 19

نسبه..... 20

صفاته وخلقه 22

جهوده في مجال العلم.....24

المبحث الثاني :ظروف وصوله إلى الحكم.....27

بيعته..... 29

المبحث الثالث : وفاته.....32

الفصل الثاني :**السياسة الداخلية للمولى إسماعيل في المغرب الأقصي**

المبحث الأول :السياسة العسكرية.

تكوين الجيش..... 38

الوسائل تقليدية..... 38

قبائل الجيش..... 38

جيش الوداية.....39

قبائل الشراكة.....40

جيش آيت يمور.....40

العلوج 41

الوسائل المبتكرة 42

تكوين جيش عبيد البخاري.....42

موقف العلماء من جيش عبيد البخاري.....44

تحرير الثغور والأراضي المحتلة.....45

المبحث الثاني : السياسة الإدارية والاقتصادية.

الإدارة 51

السلطة المركزية.....51

الإدارة المحلية.....57

السياسة الإقتصادية.....58

المبحث الثالث : موقف السلطان إسماعيل من الزوايا 62

الزوايا المعارضة لسلطته. 63

الزوايا المساندة لسلطته. 64

الفصل الثالث :العلاقات الخارجية للمغرب الأقصى في عهد المولى إسماعيل.

المبحث الأول : العلاقات العثمانية المغربية (إيالة الجزائر) 68

المبحث الثاني : علاقة المغرب بلاد الحجاز، مصر و السودان.

بلاد الحجاز. 73

مصر.....73

السودان.....75

المبحث الثالث :العلاقات المغربية الأوروبية.....76

فرنسا.....76

إسبانيا 83

انجلترا.....86

مع باقي الدول الأوروبية. 90

البرتغال 90

هولندا 91

- الخاتمة 93

– الملاحق 95

- قائمة المصادر والمراجع.....107

- الفهرس 117